

# مجلد السبع إلى العربي

١٠٣

الموافق المحرم وصفر سنة ١٣٤٨ هـ

(دمشق) تموز: سنة ١٩٢٩ م

## تصحيح نهاية الأرب

### اغلاط الجزء السابع

كنا نبتعنا الأجزاء الستة من هذا السفر النفيس الذي تصدره مطبعة دار الكتب المصرية فنشرنا أغلاطها في مجلد السنة السادسة (ص ٢٨ — ٤٩ — ١١٤ — ١٥٢ — ٢٠١ — ٢٥٧ — ٢٩٤ — ٤٠٦) ومجلد السنة السابعة (ص ٣٩٦) ثم تأخر صدور الجزء السابع نحو ثلاث سنين حتى جاءنا أمس فإذا هو في حلة من التصحيح والتعليق لم نأنس مثلها في الأجزاء الأولى مع فرط عنايتنا بمقابلة النسخة على نسخ أخرى واستخراج زبدة خالصة ترتاح لها النفس ويظمن اليها القلب . ومع هذا كله فقد عثرنا في هذا الجزء السابع على طائفة من الأغلاط رأينا من الفائدة نشرها في مجلدنا لتتبعنا لعملنا السابق وخدمة لهذا الكتاب النفيس ومشايعة لمصححه الفاضل على حسن سعيه . فيكون لنا فضلة ما يستحقه من الثواب . كما يكون له منا ومن القراء كل شكر وثناء وإعجاب .

فمن الأغلاط التي عثرنا عليها في هذا الجزء . وأمكننا النقطن لصوابها ما جاء في :  
 صفحة ٣ سطر ٥ ( أقي صلى الله عليه وسلم بما أعجز البلغاء . وأخرس الفصحاء .  
 وفلّ حدّ المؤرخين ) صوابه ( المعارضين ) والافإنه لم يكن في بلاد العرب في زمنه صلى  
 الله عليه وسلم طائفة من علماء التاريخ يكسر شوكة علمهم . وإنما هم معارضون بفلّ حدّ  
 معارضتهم .

ص ١٢ س ١ — ( وقال أزدشير بن بابك ) صوابه ( أردشير ) بالراء المهملة وهو

من الأغلاط التي عمت بها البلوى . على ان ( أردشير ) كتب على الصخرة في الصفحة ٢٧٣ من الكتاب .

ص ١٩ س ٦ — ( فوصف نفسه تعالى جده بان علم بالقلم . كما وصف به نفسه بالكوم ) كلمة ( به ) مقحمة والصواب إسقاطها .

ص ١٩ س ٦ — ( واعتد بذلك من نعمه العظام ) صوابه ( ذلك ) لان اعتد هنا بمعنى علة وهو يتعدى بنفسه .

ص ١٩ س ١١ — ( فليتم ربها وإصلاحها ) قوله ( ربها ) اي رب الدواة ولعل الأصبوب ( ربها ) من الري : اي ان على الكاتب ان يعني بقوية دوانه بالخبر ويتمدها بسائر ضروب الإصلاح .

ص ٢٠ س ١٥ — ( وترك الشكل على الخطأ ) ضبط ( ترك ) بالرفع والصواب جره عطفاً على ( الكسوف ) ليكون مما يعجز منه الكاتب لا مما يحتاج اليه .

ص ٢٤ س ١ — قال في صفة أقلام ( شاكلت الذهب في ألوانها . وضاعت الحرير في لمعانها . بطيئة الحفا . ثمرة القوى ) صوابه ( ثمرة القوى ) اسم مفعول من أمرت الحبل فتله فتلاً شديداً . والممر الحبل المفتول كذلك . والقوى جمع قوة الطاقة من طاقات الحبل . والمراد وصف الأقلام بالقوة والصلابة واشتداد الأمر .

ص ٢٥ س ٢ — وقال في صفة الأقلام ايضاً ( نثرت الواناً تزرى بورد الحدود . وأبدت قامات نفص بأود القدود ) صوابه نفص بأود القدود . اي ان استقامة هذه الافلام تنجل ونفص ما في قدود الحسان من الأود والاعوجاج . وبذلك يحصل التناسب بين ( تزرى ) و ( نفص ) .

ص ٣٤ س ١٦ — سرد المؤلف ما يحتاج اليه الكاتب من الامور . ومنها معرفته للأحكام السلطانية « فانه قديماً بامر فيعرف منها ( اي من الأحكام السلطانية ) كيف يخلص قلبه على حكم الشريعة المطهرة ) صوابه ( الى حكم ) لان فعل ( خالص ) بمعنى ( وصل ) وهو يتعدى بحرف الجر ( الى ) اي انه بمعرفته الأحكام السلطانية يهتدي قلبه الى حكم الشريعة ولا يضل عنها . ومن شواهد تعدية فعل خالص ما جاء في حديث البخاري من قول هرقل ( فلو أعلم اني أخلص اليه لتجشمت لقاءه ) ويحتمل ان يكون التحريف

في (يخلص) ويكون أصلها يحض قلبه على حكم الخ .  
 ص ٣٧ س ٧ - (يقع فيه كالواقف بمكان غيره) لعل صوابه يقف فيه كالواقف الخ .  
 ص ٤٩ س ١٢ - (مع طرح ذكر المشبه من البين لفظاً وتقديراً) هكذا ضبطت  
 (البين) بتشديد الياء فعلى المصحح على ذلك قائلاً أنه غير ظاهر ولعل صوابه «من  
 الشبهين يريد الطرفين» . انول انما جاء الاشكال من تشديد ياء «البين» وهي غير  
 مشددة اذ هي (بين) مخففة الياء بمعنى وسط واكثر استعمالها ظرفاً وتستعمل اسماً فتدخل  
 عليها اللام فقوله (مع طرح ذكر المشبه من البين) اي من بين الكلام وتضاعفه . نعم  
 قد يكون هذا الاستعمال من صنيع المولدين . ويظهر انه قديم من عهد المؤلف . وما زال  
 مستعملاً في كلامنا الدارج الى اليوم .

ص ٦١ س ١٤ - (بل جعل الانطلاق والبسط الخ) صوابه (بل جعل البسط)  
 باسقاط كلمة (الانطلاق) لان بيت الشعر الذي فيه كلمة الانطلاق وهو قوله :  
 (لا يألّف الدرهم المضروب صرلنا لكت يمر عليها وهو منطلق)  
 لم يسبق له ذكر بعد . وانما ذكرت آية (وكلهم باسط ذراعيه بالصيد) فاعل  
 البيت كان متقدماً فأخر سهواً أو ان الناسخ سبقه قلبه فكاتب كلمة (الانطلاق) .  
 ص ٩٧ س ١٦ - (حدا بابي ام الرئال فأجفلت زمامته من عارض متلب) (متلب)  
 قال المصحح تعليقا على كلمة (متلب) في الاصل متلهب وما اثبتناه عن كتاب  
 (حسن التوسل) اذ هو المناسب لما هنا ولعل ما في الاصل مقلوب عن متلهب اي متوقد  
 غيرة وحمية . والمتلب المتخزم بالسلاح يريد المتحمي للقتال اه قول المصحح . اقول كان  
 الواجب على المصحح وقد ارتضى نسخة (المتلب) ان يصحح كلمة (عارض) بفارس لان  
 الفارس هو الذي يتلب وتخزم بالسلاح . أما وقد ابقى كلمة (عارض) على حالها -  
 والعارض هو السحاب المعترض في الأفق - فلم يبق في إمكاننا قبول كلمة (متلب)  
 وانما نعول على ما جاء في الاصل من كلمة (متلهب) : فنكون (متلهب) اسم فاعل من تلهب  
 اي انتسب الى آل المهلب لان الممدوح بالقصيدة هو المهلب بن ابي صفرة . او ان كلمة  
 المتلهب محرفة عن (متلهل) والعارض المتلهل هو المتلألأ يلعبان البرق وانعصاب المطر .  
 قال ابو كبير الهذلي يصف ثأبط شراً :

( واذا نظرت الى أسرة وجهه برفت كبرق العارض المتهلل )  
وتمكن معرفة حقيقة الكلمة إن كانت ( متطلب ) او ( متهمل ) بالرجوع الى القعيدة  
التي منها البيت فيرى ان كانت بائية او لامية .

ص ٩٨ ص ١٢ — قول المثاني :

( فقلقت بالهم الذي قلقل الحشا فلاقل عيش كلهم فلاقل )  
صوابه ( فلاقل عيس ) بالسين المهملة وهي النيباق . يقول انني حركت بسبب الهم  
الذي حرّك أحشائي فلاقل عيس اي ابتلاً خفائفاً في السير والضرب في البلاد . والا  
فان ( العيش ) ليس له فلاقل . ثم لا يحسن ان يرجع ضمير ( كلهم ) الى فلاقل الاوّل .  
على ان الشائع على السنة الناس ( فلاقل عيش ) بالمجعة .

ص ١٠٨ ص ٦ — ( فان زادت القرائن على اثنين ) صوابه على اثنين لان القرائن  
جمع قرينة .

ص ١٢٥ ص ١١ — ذكر المؤلف من أنواع البديع ( عتاب المرء نفسه ) وقال إن  
هذا النوع من أفراد ابن المعتز ولم يُنشد ( اي ابن المعتز ) عليه سوى بيتين ذكر ان  
الآمدي أنشدهما عن الجاحظ . هذا ما قاله المؤلف وعلق عليه المصحح قوله : « ان الذي  
في نسخة تحوير التعبير ( الآسدي ) مكان ( الآمدي ) قال ولم نقف فيما بين ابدينا من  
المظان على ما يرجع احدي الروايين . اقول ولكن الظاهر ترجيح رواية الآسدي لأن  
( الآمدي ) مات سنة ٣٧١ هـ وكان ابن المعتز مات قبله بنحو ٧٥ سنة اي في سنة ٢٩٦ هـ  
فكيف يروي عنه .

ص ١٤٠ ص ١٥ — ( هل لا سألت جموع كنه مدة يوم ولوا أين أيننا )  
صواب ( هل لا ) ان تكتب متصلة ( هلاً ) لانها أداة تخفيض . وهي في الاصل  
مركبة من ( هل ) و ( لا ) واذا دخلت على الماضي أفادت اللوم على ترك الفعل كما هنا .  
ص ١٥٩ ص ١٥ — ( اللهم اني إسألك رحمة تهدي بها قلبي . وتجمع بها امري .  
ونلم بها شعثي . وتصلح بها غايقي . وترفع بها شاهدي ) . ثم قال المؤلف ( فتاب صلى الله  
عليه وسلم بين قلبي وامري وغايقي وشاهدي الخ ) ولكن اين المناسبة بين غايقي وشاهدي  
فصوابه اذا ( وتصلح بها غايقي . وترفع بها شاهدي ) وان المناسبة بين الغائب والشاهد

ظاهرة . كأنه قال أصلح برحمتك باطني وظاهري . أو سري وعلايني . أو ما غاب عني فلم أستطع إصلاحه كما تصلح ما شهدته ووقع تحت حوامي .

ص ١٦٤ س ٩ — ( وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله ) صوابه وكان عبيد الله بدليل قوله في السطر قبله ( كقول عبيد الله ) . ثم ان الرقم ( ١ ) ينبغي ان يوضع في السطر الذي قبله على قوله ( عبيد الله بن عبد الله ) .

ص ١٨٦ س ٨ — ( وليكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل « نأال الله دفع المحذور الخ » قوله ( بمثل ) صوابه مثل باسقاط الباء لان مثل خبر ( بك ) والمعنى وليكن ختام فصولك في هذا المقام مماثلاً لهذه الجملة . وليس الموضع هنا من المواضع التي تزداد فيها الباء لان الكون غير منفي .

ص ١٨٨ س ٧ — ( فتخير في الألفاظ ارجعها وزناً الخ ) صوابه من الألفاظ وهو

ظاهر .

ص ١٩٣ س ٨ — ( وراق التوسيع فيه . وعذب بسط الكلام فيه ) لعل الصواب التوسع منه وبسط الكلام فيه أو التوسيع فيه وبسط الكلام عليه . وبذلك يجنب التكرار .

ص ١٩٥ س ١٠ — يصف استسلام عدو ( فلاذ بالاتجاه الى سلمنا . وعاذ بآسناد الرجاء الى كفنا عنه وحملنا ) ضبط ( أسناد ) بكسر اوله مصدر ( أسند ) ولكننا لا نرى المعنى يستقيم عليه فلعل الصواب فتح همزة ( أسناد ) على انه جمع ( سند ) وهو ما يلتجئ اليه الخائف من حائط أو جبل أو نحوهما : فالبدو التجأ الى صلحنا فكان ذلك ملاذاً له وعاذ يرجاء صلحنا عنه وحملنا فكان ذلك الرجاء سنداً وموئلاً له . ولكن ما قلناه لا يستقيم مع قوله ( الى كفنا عنه ) فلعل اصله ( من كفنا ) وتكون ( من ) بياناً بأن المراد من أسناد الرجاء .

ص ١٩٨ س ١٥ — ( استدرجنهم الى مصارعهم واستجربناهم ليقربوا في القتل من مضاجعهم ) قال انصح لعل صواب ( استجربناهم ) ( أجريناهم ) يعني من الجري بمعنى العدو والركض . اقول بل لعل الصواب ان اصله ( استجربناهم ) بمعنى جررناهم وهو المناسب لقوله قبله استدرجنهم .

ص ١٩٩ س ١٧ — ( وجرّ لنفسه بموالاة النصار عناء كان عنه في غنى . وأوقع



روحه بمظافرة المغول في حومة السيوف التي تخطفت اولياءه من هنا ومن هنا ( قوله بمظافرة ) لعل صوابه ( بمضافرة ) بالضاد مصدر ضافره اذا عاونه . أما ظافره بالظاء فلم نجد له اتى بمعنى عاونه . نعم اختلف علماء اللغة في ( نظافروا ) بالظاء من التفاعل هل يكون بمعنى ( تضافروا ) بالضاد اذا تعاونوا ؟ وعليه اقول هل صحة ( النظافروا ) تستدعي صحة ( المظافرة ) بمعنى المعاونة وان لم يذكرها في المعاجم . هذا فعل ( التواصي ) مثلاً ورد في فصيح الكلام : فهل نحمل عليه فعل ( المواصاة ) فنستعمله بمعنى التوصية وان لم يذكره ؟ ؟ .

ص ٢٠١ س ٨ — ذكر المؤلف انه يجب أن يراعى سبب التقاليد والمناشير والتواقيع امور ( منها براءة الاستهلال بذكر الرتبة او الحال او قدر النعمة اولتب صاحب التقليد ) قوله ( او الحال ) لعل صوابه ( او المال ) لان تواقع الملوكة كما تصدر بالخلع والرتب تصدر ايضاً بالمال والصلوات .

ص ٢٠٤ س ١١ — ( وأظللنا بوادر الفتوح . وأظلت على الاعداء سيوفنا التي هي على من كفر النعمة دعوة نوح ) لعل صوابه ( وأظلت على الاعداء ) بالطاء المهملة لان ( الاإظلال ) بالطاء المججمة للرحمة والسيوف لا تظلمهم برحمتها . وانما تظلم عليهم بصواعق نقمتها . على أن فعل ( الاإظلال ) انما يتعدى بنفسه لا بهلي .

ص ٢٠٥ س ١٥ — يصف العدو الذي استسلم ( فأبصر بالخدمة . رضع رشده وأدرك بسعيه نافر سعيه ) قوله ( بالخدمة ) صوابه ( بالخذق ) فان الخذق هو سبب إبعاده رشده . كما ان سعيه هو سبب ادراكه سعيه . اما ( الخدمة ) فانما تصح إرادتها على استكراه وتكلف .

ص ٢١٤ س ١٥ — يصف الرسالة التي يقال ان سيدنا ابا بكر أرسلها الى سيدنا علي : ( هي والله من بنات الحقائق . ومخبات الصناديق ) صوابه ( من بنات الحقائق ومخبات الصناديق ) اما الحقائق فجمع حقيقة . وهي بمعناها العلمي قلما استعملها اهل اللسان في ذلك العهد . فصوابها اذاً ( الحقائق ) بكسر الحاء جمع ( حُقة ) بضمة وعاء من عاج او خشب تصان به الطيوب والجواهر . والصندوق معروف وجمعه صناديق لا صنادق . وذلك لكان التوا قبل آخر مفردة . ولم يرد ( صندوق ) من دون واو حتي يجمع على صنادق . وما قلناه في ضبط الكلمتين : ( الحقائق ) و ( الصناديق ) هو الثابت في نسختنا المخطوطة من كتاب ( محاضرة

الابرار ) لابن عربي . و اراد بقوله في صفة الرسالة انها من ( بنات الحقائق ) انها من جنس ما يحفظ في الحقائق من الجواهر . و كرائم التحف . وفي بعض نسخ هذه الرسالة ( درر الحقائق ) مكان ( بنات الحقائق ) والمعنى واحد .

ص ٢١٥ س ٤ — ( أنبأنا ابو النفاح ) وهو مولى ابي عبيدة . قال المصحح انه كذلك في نسخة ( محاضرة الأبرار ) المخطوطة المحفوظة في دار الكتب المصرية قال : والذي في الأصل ( ابن المتاح ) . أقول وفي نسخي ( محاضرة الابرار ) المخطوطة ذكر اولاً باسم ( ابي الشياح ) ثم جاءت في نسخي المذكورة زيادة لم اجد لها في غيرها من النسخ وفي هذه الزيادة قوله ( وذكر مولى ابي عبيدة ابو النفاح بالنون والفاء ) هكذا ضبطه بالحرفين النون والفاء . ثم جاء في الزيادة المذكورة قوله ( قال ابو حامد قال ابو التياح ) : فاسم مولى ابي عبيدة اذا تصحف الى اربع صور ( ابو النفاح ) ( ابن المتاح ) ( ابو الشياح ) ( ابو التياح ) وأوثقها الصورة الاولى لما مر من ضبطها بالحرفين النون والفاء صراحة .

ص ٢١٧ س ٤ — ( والباطل عنوف عسوف ) قال المصحح ( لم نقف على هذه الصيغة فيما لدينا من الكتب ) أقول وفي بعض النسخ ( نسوف عسوف ) فالنسوف إما من قولهم ( عقبه نسوف ) اذا كانت طويلة شاقة لثعب سالكها . واما من ( بعير نسوف ) اذا كان يقتلع الثبت من أصله بمقدم فمه . و ( عسوف ) هي الريح الشديدة .

ص ٢١٧ س ٥ — ( والتعريض شجال الفتنسة ) قال المصحح ( الشجال ) جمع شجل وهو الدلو العظيمة . اقول ولعل الصواب ما في نسختي المخطوطة ( شجار الفتنسة ) و ( الشجار ) من شجر الطبيب فم المريض اذا فتحه بواسطة عود ثم صب فيه الدواء والعود المذكور هو الشجار . وفي حديث سعد رضي الله عنه ان أمه قالت له ( لا أطمع طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تكفر بمحمد ص ) قال فكانوا اذا أرادوا ان يطعموها او يسقوها شجروا فاما اي ادخلوا فيه الشجار ففتحوه وصبوا فيه الطعام والشراب . ومعنى كون ( التعريض شجار الفتنسة ) ان التورية في الكلام والتلميح به الى عيوب الخصوم وسببنا اعمالهم تثير الحفاظ وتبريج الأحقاد ويكون ذلك كالشجار يفتح به فم الفتنسة بعد ان كانت مبطقة فتلتهم الأخضر واليابس .

ص ٢١٨ س ٧ — ( ويسري فيه ظعنك ) لعل الأصوب ما في النسخة الأخرى

( و يستشري فيه ضغتك ) من استشرى الامر عظم ونفاقم او من استشرى الرجل في الامر لج وتماذى . ( والضغن ) الحقد . ومعنى الجملة هذه يلتم بما في الجمل التي قبلها وبعدها بأكثر مما يلتم معنى جملة ( و يسري فيه ظعنك ) .

ص ٢١٨ س ١٠ — ( او مثلك ينقبض عليه القضاء ) لعل الأصوب ما في النسخة الأخرى ( يُغص عليه القضاء ) من قولهم غص المكاث بالقوم امتلاً بهم وضاق عليهم وأغص فلان علينا الارض اذا ضيقها .

ص ٢١٩ س ٩ — ( ولا نباع مراداً الى شيء الا بعد جرع العذاب معه ) الصواب إسقاط احدى الكلمتين : اما إسقاط ( الى شيء ) واما إسقاط ( مراداً ) كما في نسختي المخطوطة وعبارتها هكذا : ( ولا نباع الى شيء الا بعد جرع الغصص معه ) وكأنه ضمن ( نباع ) معنى نصل ولذا عداه بحرف الجر ( الى ) وقد قرئت في هذه النسخة ( الغصص ) بالجرع وهو أشبه بكلام البلغاء : فانهم أكثر ما يقرنون ( الذوق ) بالعذاب فيقولون ( ذاق العذاب الواناً ) ( والغصص ) بالجرع والفجوع . قال بعض الأذكياء . في تعريف الدماء : هو ( تجرع الغصص . وترقب الفرص ) .

ص ٢٢٠ س ١ — ( ولولا سنك ) الاظهر ما في نسختنا المخطوطة ( ولولا حادثة سنك ) .  
ص ٢٢٠ س ٢ — ( وانقض الخير لك ) لعل الأصوب ما في نسختنا المخطوطة ( وأرخص الخير لك ) قال في الأساس ( ومن المجاز أرخص الشيء أثبتته وأسهه . وأرخص الله فلاناً للخير جعله معدناً له ومأقياً ) فعلى المعنى الثاني يكون في عبارة الكتاب قاف و يكون الأصل ( وأرخصك للخير ) .

ص ٢٢١ س ٨ — ( وخصه بمزية . وأفرده بمحالة ) لعل الأصوب ما في نسختنا المخطوطة ( وأفرده بمحالة ) اذ المقام يقتضي الافراد بالمزايا الحسنة . وكلمة ( المحالة ) تشمل القبيحة . و ( الجلالة ) بالثناء عظم القدر اما ( الجلال ) من دون ثناء فهو الثناحي في عظم القدر ورفعة الشأن . ومن ثم استعمل المتأخرون ( الجلالة ) في جانب الملوك و ( الجلال ) في جانب المولى عز وجل .

ص ٢٢٣ س ٤ — ( قال ابو عبيدة فلما تأهبت للنهوض قال لي عمر : كن لدى الباب هنيئة فلي معك دور من القول ) اول ما خطر ببالي عند قول عمر ( دور من القول )



انه شاهد لقول كتاب هذا العصر « وانا اقول في دوري » ترجمة للعبارة الافرنسية ( A mon tour ) ولا تبقى حاجة الى العدول عن كلمة ( دور ) الى كلمة ( نوبة ) . لكن خاب ظني لما رجعت الى نسختي المخطوطة فوجدت العبارة فيها هكذا ( في معك ذرة من القول ) فعلمت اذ ذاك انها الصواب وان كلمة ( دور ) محرفة عن ( ذرة ) بالهمزة او عن ( ذرو ) بالواو وكتباهما بمعنى واحد قال القساموس وشرحه ( ويقال بلغني ذرة من خير اي شيء منه وطرف منه . والذرة ايضا الشيء اليسير من القول : قال الشاعر :

( أناني عن مغيرة ذرة قول وعن عيسى فقلت له كذاكا )

وقالوا في مادة ذرو ( بلغني عن فلان ذرو من القول ) اي طرف منه و ( أخذني ذرو من الحديث ) اي انه عرض ولم يصرح . فلا جرم ان تكون كلمة ( دور ) محرفة عن كلمة ( ذرو ) . ومثل هذا التحريف قلما يمكن التفرز منه .

ص ٢٢٣ س ٥ — ( لحقني بوجه يدي تهللاً ) قوله ( يدي تهللاً ) ليس من جنس كلام العرب فاعل صوابه ما في نسختي المخطوطة ( يندى تهللاً ) بالنون من ندي الشيء ابتل . ويستعمل مجازاً في مثل قولهم ( فلان ندي الكف ) اذا كان سخياً جواداً . واذا نسبت الندوة الى الوجه كان المراد بها الحياء او التهلل والبشاشة ( ووجهك من ماء البشاشة بقطر ) .

ص ٢٢٥ س ١١ — ( يمض إهابك . ويعرك ادبك ) ( الإهاب ) الجلد ولا معنى لمضه : لاحقيقة ولا مجازاً فاعل صوابه ما في نسختي المخطوطة ( يمض ) بالضاد المعجمة من مضه أو أمضه الامر اذا أحرقه وأوجعه وآلمه . ولأريب ان قولك لا خير فلان يمض جلدك اي يوجعه خير من قولك له ( فلان يمض جلدك ) ويؤبد ما ذهبنا اليه قولهم ( فلان أمضه جلده فذلك ) اي شعر في جلده بحكة وأكال فحكه وفركه .

ص ٢٢٥ س ١٤ — ( فتود أن لوسميت بالكأس التي أيتها . ورُدت الى حالتك التي استغربتها ) لا معنى للاستغواء هنا ولعل صوابه ما في نسختي المخطوطة ( الى حالتك التي استبرأتها ) من استبرأ الشيء اذا طلبه الى النهاية ليعرفه ويقطع الشبهة عنه . فعمد يقول لعلي رضي الله عنهما : أتمنى الرجوع الى حالتك التي كنت على بينة منها ووثوق بها . ص ٢٢٨ س ١ — ( ولقد سمعت أمائلك التي لغزت فيها الخ ) . ضبط ( لغزت )

بالتشديد وقال مصححه « كذا ورد الفعل بتشديد الغين في اساس البلاغة » اقول لكنني لم أجده جاء بالتشديد في كتب اللغة بل ان بعضها اقتصر على ( ألغز ) كلسان العرب وبعضها ذكر ما يفيد انه جاء ثلاثياً ايضاً وهذا كالفقاهوس فانه قال ( الألغز ميمك بالشيء عرب . وجهه ) فذا سير اللغز بالميل دليل على انه انما يفسر بمصدر الثلاثي . نعم في اساس البلاغة طبعة دار الكتب المصرية ( سنة ١٩٢٣ م ) قال : ( ألغز ولفغز ) وشدد الغين لكن بالشكل لا بالحرف . وعندني ان في هذا التشديد نظراً . فلعله مهو من الناسخ او الطابع .  
ص ٢٢٩ س ١٢ — ( وفي الله حلوة عن كل حادث . وعليه التوكل في كل الحوادث ) .  
لعل الأصوب ما في نسخة المخطوطة ( وفي الله حلوة عن كل كارث الخ ) وبذلك يجنب التكرار او شبه التكرار بين ( الحادث ) و ( الحوادث ) .

ص ٢٣٣ س ١١ — ( حتى قاءت « اي الارض » أكلها معناه أخرجت خبزها )  
هكذا فسّر الأكل بالخبز ولعل صوابه ( الخير ) وببانه ان الأكل بمعنى الثمرة ومنه قوله تعالى ( أكلها دائم ) و ( كلتا الجنين آتت أكلها ) ويستعمل في كلام البلغاء مجازاً بمعنى الحظ والرزق الواسع ومنه قولهم ( ان فلاناً أعظم الأكل من الدنيا ) اي هو ذو حظ ورزق واسع منها . وجملة ( حتى قاءت أكلها ) من كلام السيدة عائشة في صفة عمر رضي الله عنهما اقول انه في خلافته ذلّل الارض حتى قاءت اي لفظت ما فيها من الكنوز وأخرجت ما استقر في جوفها من الرزق والخير للمسلمين . ولعمري ان تفسير الأكل بالخبز يقلل من شأن الأكل ويحقر من مجهود عمر . بل لو قال قائل ان المراد بالخبز الحنطة لم تكن الحنطة شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الخير العظيم المختلف الألوان الذي ناله المسلمون في عهد عمر . فالصواب اذاً تفسير الأكل بالخير لا بالخبز .

ص ٢٤٠ س ١٠ — ( واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود واستماعة المتاح ) قوله ( شيئاً ) لعل صوابه ( سبباً ) اي اجعل من عدلك وانصافك سبباً الى طمأنينة رعيتك وهدوئهم في منازلهم واكتفائهم بذلك عن تحمل مشقة السفر اليك للسؤال والاستماعة .

ص ٢٤٠ س ١١ — ( فان كل امرء انما يجمع في نفسه وعائه الا الأقل الخ ) صوابه الأقل باسقاط ( الا ) .

ص ٢٤١ س ٣ — ( لم اكن والله زوترته قبل ولا رويته بعد ) وانما كانت كلمات  
تفئين لسانني حين الصدمة ( زوترت الكلام هيأته في نفسي قبل التصريح به . وقوله  
( رويته ) ضبط بخفيف الواو ولعل الا صوب فيه تشديدها ويكون اهله ( رويته ) مهموزاً : يقال  
رويّاً في الامر وروي فيه اذا نظر فيه وتأمل وتفكر . ومنه ( الرويّة ) . وهذا المعنى تصح  
الجملة اشدّ اتهاماً بما قبلها وبما بعدها .

ص ٢٥٤ س ٣ — ( فما الذي يبرد غليلك . ويشفي إجاج صدرك ) قال المصحح  
في تفسير ( الإجاج ) انه جمع إجة بمعنى شدة الحر وتوجهه . وهو كما قال غير ان استعمالها  
مجازاً في معنى حرارة الصدر غيظاً فليل الورود في كلام البلغاء ودليل ذلك ان الزمخشري  
لم يشر اليه في أساسه . فالكلمة اذاً مصحفة عن ( أحاح ) بهزة مضمومة وحائنين مهملتين  
ومعناه العطش . وقد كثر استعماله مجازاً في الغيظ وحرارة الغم . وهاك ما قاله القاموس  
وشرحه ( والأحاح بالضم العطش والغليظ وقيل اشتداد الحزن او العاش . وسمت له  
أحاحاً اذا سمعته يتوجع من غيظ او حزن قال الشاعر : ( يطوي الحيازيم على أحاح )  
والأحاح حازاة الغم كذا بخط الجوهري برائين ( متجهتين ) وفي نسخة حرارة برائين  
( مهملتين ) اهـ .

اقول ومنه ايضاً قول الحماسي عبد الشارق بن عبد العزى :  
( فباتوا بالصعيد ثم أحاح . ولو خفت لنا الكلى مريتنا )  
وقد فسر شراح الحماسة ( الأحاح ) بالعطش وفسره آخرون بالانين المنبعث عن  
الآلم .

ص ٢٥٥ س ١٧ — ( نفرت عنه القلوب . وتغض عنه الأبصار ) لعل صوابه ( نفرت  
منه ) لا عنه . يتجنباً للتكرار مع ( عنه ) الثانية .

ص ٢٦٠ س ٥ — ( من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على انسان )  
صوابه ( بانسان ) لأن الوصاة اسم مصدر لا وصي وهو يتعدى بالباء لا بـالي .

ص ٢٦٦ س ١٠ — ( في ظل ظليل . ونسيم عليل . وريح بلبل . وهواء ندي . وماء  
روي ) لعل صوابه ( وهواء عذري ) بالذال المعجمة والياء المخففة وتشديد داي طيب ملائم للصحة  
واكثر استعماله في المكان يقال ( ارض عذبة ) كما تقول طيبة المناخ بعيدة عن الوخم

و يقول عامتنا اليوم (عدي) بالبدال و (نجد العديّة) . اما قوله (ندي) فمعناه البتل . وعلى فرض صحة استعماله في كلام البلغاء يكون مكرراً مع قوله قبله ( ريج بليل ) ولا ينبغي ان التأكيد خير من التأسيس .

ص ٢٦٧ م ٥ — ( فذاك والله اكشف ظلالك في العاجلة . وأروحي في الآجلة ) لعل صوابه ( اكشف ) بالشاء المثناة . وان توصيف الظل بالكشف أشبه بكلام البلغاء من وصفهم له بالكشف : فان ( الكشف ) حياطة الشيء من أكتافه وجوانبه . والظل انما يكون من فوقه . فبين الكشف والظل شبه تضاد .

ص ١٦٧ م ٩ — ( وهل حلا بعدرك ان تغفر بفوت مزيج او موت مزيج ) قوله (حلا) بالالف من ( حلّ يحلّ ) من الباب الاول اذا صار حلوأ . وهو في كلام البلغاء انما يستعمل لما يكون مذاقه حلوأ في الفم . أما ما يكون حلوأ في الصدر او القلب او العين فيستعمل معه فعل ( حلّ يحلّ ) من الباب الرابع : يقال حلّ الشيء في عيني وحلي في قلبي وحلي في صدري . قال الاصمعي ( حلّ في عيني بالكسر وحلا في في بالفتح ) وقال في اساس البلاغة ( ومن المجاز حلّ فلان في صدري وفي عيني قال الشاعر :  
( فلم يحلّ بالعينين بعدك منظر )

ص ٢٦٧ م ١٣ — ( أم من يرغب عن مكثرة بن بنسب الربيع الى حلقه ) قال المصحح الاصل ( مكثرة من ينسب ) باسقاط الباء والسباق يقنفي اثباتها . افول ولكن فعل كثر انما يعمد بنفسه لا بالباء . يقال كثرهم فكثروهم اي غلبوهم بكثرة العدد . وليس المراد بالمكثرة هذا المعنى هنا انما المراد المعنى الآخر وهو كما في القاموس ( كثره الماء اذا أراد لنفسه منه كثيراً ليشرب منه ) فالصاحب ابن عباد الذي كتب هذه العبارة كأنه يقول لصدقه : من يزهد في الاستكثار من التمتع بنضارة الربيع ؟ لا أحد . كذلك انا أر بد لنفسي مكثرة ربيع خلق صاحبي كما بكثرة المطشات غيره الماء عند الورود مريداً لنفسه الكثير منه ليروي . فقوله ( مكثرة من ينسب ) من اضافة المصدر الى مفعوله الثاني . هذا اذا لم تكن مكثرة محرفة عن كلمة أخرى .

ص ٢٦٨ م ٤ — ( وحوالي اعمال واشغال لا يسلم معها فكر . ولا يسلم بينهما طبع ) لا يسلم ولا يسلم تكرار يجنبه البلغاء عادة فدل صواب احدهما ( لا يسلم ) اي لا يتقاد ولا يطبع .

- ص ٢٧٠ من ١٦ — ( ولا مجال للمتب عن هذه الاحوال ) صوابه على هذه الاحوال  
ص ٢٨٠ من ٦ — قوله في رسالة ابن زيدون ( واظهر واضمر . وابتدأ واخبر .  
واستفهم وأهمل وقيد . وارسل واسند ) الصواب اسقاط كلمة ( واستفهم ) فقد طالت بها  
الجمعة عن تاليتها خلافاً لاصول السجع . وكان هذه الكلمة هنا من رواية أخرى جاءت  
في بعض النسخ وهي ( واظهر واضمر . واستفهم واخبر ) مكان ( وابتدأ واخبر ) .
- ص ٢٨١ من ٩ — ( فكدمت غير مكدمه ونفخت في غير لحم ) صوابه كما سبقت نسختنا  
( سرح العيون طبعة المبيجي ١٣٢١ هـ ) ( فكدمت غير مكدم واستسمنت ذا ورم ونفخت  
في غير ضررم ) وبذلك استقامت السبعة وصح المعنى . والا فان النفخ في اللحم لا يوري  
ناراً كالنفخ في الرماد بخلاف النفخ في الضررم فانه يزيد وقوداً واشتعالاً .
- ص ٢٨٤ من ٤ — ( وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان . وشعرت ان ناديني  
المؤمن والكافر لا يتراءيان ) ناديني بالبال ثنية نادي وهو مجتمع القوم والمعنى عليه صحيح  
ومع هذا فالصواب فيه ( ناري ) ثنية نار بالراء لان ابن زيدون انما يريد التليح الى الحديث  
الشرىف . وهو كما في النهاية ( قال صلى الله عليه وسلم انا بريء من كل مسلم مع مشرك )  
وبل لم يارسول الله ؟ قال : ( لا تراءى ناراهما ) اي يلزم المسلم ويجب عليه ان يبعد  
منزله عن منزل المشرك ولا ينزل بالموضع الذي اذا أوقدت فيه ناره تلوح وتظهر لنار المشرك  
ذا أوقدها في منزله ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم . وانما كره مجاورة المشركين لانهم  
لا عهد لهم ولا امان وحث المسلمين على الهجرة . والترائي تفاعل من الروية . . . . . واستناد  
الترائي الى النار مجاز من قولهم داري لنظر الى دار فلان اي نقابلها اه .
- ص ٢٨٥ من ٥ — ( وما أمّتك ان تكون وافد البراجم . او ترجع بصحيفة المثلث .  
وافعل بك مافعله عقيل الخ ) صواب ( أفعل ) ( او افعل ) كما هو في نسختي المذكورة لان  
( او ) للتقسيم والمقام هنا تنضييه .
- ص ٢٨٦ من ٧ — ( ما كنت لأتخطى المسك الى الرماد . ولأأمتطي الثور دون  
الجواد ) الا صوب فيه ( بعد الجواد ) اي ان تعرف ولأدة ابن زيدون الثور بعد ان عاشرت  
والقت ابن زيدون الجواد . على ان الكاتب انما اراد التلميح الى قول المتنبي في بيته  
المشهور وهو :



(ومن ركب الثور بعد الجوا د انكر أظلافه والغيب)

يربد انه وجد الفرق بيتنا في معاشرة كافور الاخشيدى بعد ان عاشر سيف الدولة  
وكفى عن هذه المعاشرة والخلطة بالركوب وقد عابوا عليه ذلك في مخاطبة الملك .  
من ٢٨٧ ص ٦ — ( وان كنت انما بلغت قمرنا بوتك . وتجايفت لقميصك عن بعض  
قوتك ) . قوله ( لقميصك ) يجب اسقاطها لعدم الحاجة اليها ولظهور حشوها وهي غير  
موجودة في نسختي الميمنية .

من ٢٨٨ ص ١ — ( وحلتك ماربة بالقرطين . وقلدك عمرو بالصمصامة ) صوابه  
( الصمصامة ) من دون باء الجر لان فعل ( قلد ) بشعدي بنفسه يقال قلدته السيف فنقلده .  
من ٣٠٨ ص ٦ — ( وإما ان تهرني بيجة فأنصل عندك . وإما اني بحقيقة فاستديم  
خلتك . وإما ان تأزم على يأسك فأقطع جبلي منك ) فتر المصحح ( الأزم ) بالمواظبة  
والدأب وأبقى كلمة اليأس على حالها فلم يتعرض لها . وبذلك بقي الكلام او التقسيم غير  
مستقيم : لان الكاتب يعاتب صديقه فهو يقول له : إما ان تأني بيهان على خطأي فاعتذر  
اليك . وإما ان تعترف بحقيقة خطأك فأدوم على صداقتك . والحالة الثالثة — كما هو  
ظاهر العبارة — ان تواظب انت على يأسك . فأقطع جبل الود بيني وبينك . ومواظبته  
على اليأس لا معنى له وليس هو من جنس كلام البلاء وصوابه ( وإما ان تأزم على فأسك )  
( الأزم ) العزم وهذا هو معناه اللغوي و ( الفأس ) الحديد المعتبرة في حنك الفرس :  
قال في القاموس والاساس : ( أزم الفرس على فأس اللجام اذا عزم عليه ) . ومنه قول  
يزيد بن الحنم من شعراء الحماسة :

( واخيل اجودها المناسا هب عند كبتها الأزوم )

يعني بكبتها حملة الحرب وازدحامها وقالوا في تفسير ( الأزوم ) هو العضوض على اللجام  
لفرط قوته وشده . وقد كثر بقوله هنا ( وإما ان تأزم على فأسك ) — عن لجاج صديقه  
وإصراره على ذنبه : فلا هو يمتنع لنفسه . ولا هو يعترف بخطأه . بل بقي راكبا رأسه  
عاضا على فأس لجأه كما يعض الفرس الشديد الشكمة على شكيمته فهو لا يابن لراكبه .  
ولا يرفق بصاحبه .

« المغربي »



## أم تسود وأم تبید<sup>(١)</sup>

« أم تسود وأم تبید » — سلسلة طويلة عديدة الحلقات من قبل التاريخ بقرون الى اليوم . ولكن هذه السلسلة كلما تقدمت عهدها كانت صغيرة الحلقات . وبالعكس كلما كانت أحدث عهداً كانت حلقاتها اكبر واطول .

فمنذ قبل التاريخ تعاقبت على دلتا النيل ودلتا دجلة والفرات وما بينهما من البلاد التي كانت مهد التمدن أم عديدة قبل ان تأسست دول الفراعنة ودول بابل واشور ومادي وفارس وفينيقية والعرب . وليس عندنا من اخبار تلك الامم المنقرضة الا خيوط ضئيلة جداً غزرت من آثارها في العصرين الطرافي والمعدني .

ولما كان الغرض من هذه المحاضرة ان نستخرج من حوادث المجتمع الانساني المسلسلة المتشعبة نواميس نشوء الامم واستفحالها وانقراضها يكفيننا ان نستشهد كلما دعا داع للاستشهاد بالام التاريخية التي اتصلت اليها اخبارها .

اما ان الام ننشأ ونمو وتسود وفي التاريخ كله شواهد ناطقة عليه ونحن نشاهد اليوم كثيراً منها مشاهدة عيان . واما ان الام تنقرض انقراضاً تاماً فعندنا خبر عاد وثمود والعرب البائدة في الجاهلية وقبلها وناهيك غيرها مما يرد ذكره هنا في سياق هذا المقال . اما انقراض أمة او قبيل من الناس فله ثلاث كيفيات :

١ — الاولى ان تنقرض السلالة برمتها لحماً ودماً وهو اشنع كيفيات الانقراض وذلك بان تنزوها سلالة او سلالات اقوى منها جداً ، فاما ان تطردها من البيئات المخصصة الى البيئات القاحلة حيث تنفي تدريجاً لقلة الرزق كما ان القبائل التي وفدت قبل التاريخ الى اعالي النيل عن طريق البحر الاحمر من جزيرة العرب طردت القبائل القديمة التي عمورت وادي النيل قبلها بعض العمران ، ثم دفعتها الى سلسلتي الجبال والصحراء ووادياتها ، وحلت محلها ، وانشأت دول الفراعنة ، فانقرضت تلك الامة القديمة ، وان

(١) محاضرة الاستاذ نقولا حداد التي القاها في بهو المجمع العلمي سنة ١٤٠٩ هـ

سنة ١٩٢٩ م .

كان قد بقي منها بقية فهم يقيمون في بعض الواحات القصية التي اكتشف بعضها حديثاً  
او ربما تسرب بعضهم الى اواسط افريقية حيث امتزجوا بزنوجها وهم اقرباؤهم في السلالة .

والا فاذا لم تكن وسيلة الانقراض الطرد على نحو ما تقدم نبيناه فهناك وسيلة الاسترقاق  
القاسي ومعاملة الغزاة للمغزوين كمعاملة البهايم فينقرض هؤلاء تدريجاً لسوء المعيشة فضلاً  
عن الشقاء في الخدمة .

مثل هذا الانقراض في المملكة الحيوانية كثير فان كثيراً من الحيوانات البائدة التي  
لم يبق لها اثر الا عظامها انقرضت على هذا النحو امام حيوانات اقوى منها بدناً وادى  
حيلة او امام الانسان الذي اخذ محلها ولم يستطع ان يدجنها لخدمته . فالبلاد  
العامرة الحضرية الآن خالية من جميع الحيوانات الضارية والشرسة التي توجد اليوم في  
اواسط افريقية . كما انها خالية من القبائل المتوحشة التي طغت عليها قوى الحضارة  
فأفنتها .

٢ - هذه اولى الكيفيات التي لنقرض بها السلالة او القبيلة انقراضاً فعلياً اي لحماً  
ودماً . اما الكيفية الثانية فهي اندماج السلالة المغزوة بالسلالة الغازية واندغامها فيها  
بواسطة المزاوجة اذا كانت عادات هذه لا تحظر المزاوجة . ولهذه الكيفية الثانية اسلوبان :  
الاول : ان يتخذ رجال الامة الغازية من نساء الامة المغزوة المستعبدة او المسبية  
المسترققة زوجات او خلائل فنقل مواليد العبيد لقلّة نسائهم وبالتدريج ينقرضون . فيكون  
الاندماج من جهة النساء فقط . ولذلك يكون تلوث دم الامة الغازية بدم المغزوة قليلاً .

والثاني : ان يباح التزاوج الشرعي اكلا الفريقين الغازين والمغزوين اذا لم تكن  
العادات والنقائيد مانعة وكان الفريقان متعادلين في القوى الاجتماعية والادبية ودرجة  
الانحطاط او الارتفاع .

مثل هذا وذاك حدث كثيراً في الازمنة التاريخية والحديثة في القبائل الهجينة .  
ومن أمثلة ذلك الآن هنود اميركا . فانهم ينقرضون تدريجاً على هذا النحو .  
ينقرضون حتى سيف جمهورية الولايات المتحدة الاميركية التي تعاملهم بكل رفيق وشفقة .  
فقد هيأت لهم كل وسائل الرقي . فمن رقي منهم اندمج بالشعب الاميركي . وقصد زادت

الحكومة على ذلك ان اعلنت انها تنج كل رجل ابض يتزوج هندية مزرعة ذات ١٦٠ فدانا كمكافأة له او كمهر للعريس .

هذه الكيفية الثانية لانقراض السلالة لتصل بالكيفية الثالثة وهي اندماج الامم المختلطة بعضها ببعض وهي التي تجاوزت طور الهجينة واخذت لتجادی في الحضارة فوالث الفوارق بينها . فاختلطت في المعاملات وامتزجت بالتزاوج فاندمج بعضها ببعض . وانما بقي الاسم فيها للامة المتغلبة قوة او عدداً او رقياً او جميع هذه . فهذا الانقراض لا يمد انقراضاً حقيقياً بل هو تطور اجتماعي وسمالي ايضاً .

فالكنعانيون والحثيون انقضوا على هذا النحواذ تدفعوا امام الاسرائيليين واندمجوا بالفينيقيين وغيرهم من الامم المجاورة . والفينيقيون بدورهم اندمجوا باجدادهم العرب ثم باليونان والرومان . والمصريون الاخيرة اندمجوا بالرومان والعرب .

واما السلالات التي لم تبج لها ثقاليدها التزاوج بغيرها بل بقيت محافظة على كيانتها وسلامة سلالتها من الامتزاج ، فالتى استطاعت منها البقاء جدت كيانتها ، كأمة اليهود الذين عادوا الى بلادهم بعد سبي بابل وجددوا مملكتهم ثم تبعثروا مرة أخرى . وعادوا اليوم بمحاولات تجديد مملكتهم . واما التي لم تستطع البقاء فأخذت لتضال تدريجاً كأمة السامريين التي لم يبق منها الى اليوم الا ١٩٤ نفساً معظمهم في نابلس . وقدرى لي رئيس كهنتهم ان عندهم ١٩ شاباً لا عرائس لهم . وهم مضطرون ان يأخذوا لهم عرائس من نساء اليهود ولو من ضالتيهم . فهم صائرون الى الانقراض الفعلي الا اذا شاء ربك ان يبقوهم اثرأ حياً في متحف التاريخ الاجتماعي وكنهم يمتي ذلك .

هذه هي الكيفيات الثلاث لانقراض الامم . وما هي موضوع مقالنا بالذات وانما الموضوع الرئيسي الذي نحوله هو استخراج النواميس الاجتماعية لنشوء الامم وسوددها ثم انقراضها . ولجل ذلك نأتي على بيان تفاعل الامم في احوال اصطداماتها واحتكاكاتها في الغزوات والحروب والاستعمارات وعلى بيان نتائج هذا التفاعل .

\*\*\*

في حالة تفاعل الامم على نحو من الانحاء المتقدمة لا بد من وجود ثلاث حالات :  
الاولى : ان تكون الامة الغالبة ارقى من الامة المغلوبة .

- الثانية : ان يكون العكس ، اي ان الامة المغلوبة ارقى من الغالبة .  
الثالثة : ان تكون الامتان متعادلتين في الرقي وربما كانتا متشابهتين فيه .

١ - اما الحالة الاولى وهي ان تكون الغالبة ارقى من المغلوبة فهي الحالة الراجحة في التاريخ وهي طبيعية لان الرقي يغلب الانحطاط والعلم يغلب الجهل والحضارة تغلب البداوة . ونتيجة هذه الغلبة ان تكسب الامة الغالبة تمدنها للامة المغلوبة اذا كانت هذه في درجة من الرقي تفوقها على قبوله .

فن امثلة ذلك الامة الاشورية التي تعاضم امرها واستفحل سؤدها حتى غزت سوريا وفلسطين الى ان بلغت الى مصر . ومن العرب طغت الى اليونان وسائر شرقي البحر المتوسط . وقد عظم تمدنها في ذلك العهد وارتقت معارفها وصناعاتها . وبذلك نشرت تمدنها على جميع هذه الممالك ولا سيما على بلاد اليونان التي كان تمدنها حديث عهد فنضج بما اكتسبه من تمدن اشور وبابل وصار مصدراً لتمدن الامم الاربعة في الغرب . فالتمدن الذي نراه في الغرب الآن مسلسل من التمدن السامي .

ثم جاءت اليونان في دورها وجعلت توسع نطاق نفوذها في الشرق وفي الغرب فردت صدى مدنيتها اشور وبابل بمزيج مدنيتهما ومدنية اشور الى آسيا الصغرى ثم الى رومة وسائر البلاد اللاتينية .

ثم جاءت نوبة رومة وفعلت فعل اليونان كما هو معلوم لكل من له اقل الملم بالتاريخ .

٢ - نأتي الآن الى الحالة الثانية وهي ان تكون الامة المغلوبة ارقى من الامة الغالبة . وهو اقل حدوثاً في التاريخ من الحالة الاولى لانه لا يكون الا في حالة ان الامة الغالبة المنحطة اكثر عدداً واشد بطشاً . وفي هذه الحالة يغلب ان تقتبس الامة الغالبة من تمدن الامة المغلوبة . ثم قد تفوقها .

ومن امثلة ذلك الامة البابلية . فقد نشأت هذه الامة من مزيج سكان وادي الفرات الاصليين المسمين سمريين بمجهولي الاصل ، ومن قوم من السلالة السامية هاجروا من بلاد العرب وكانوا بداءة وقل تمعدناً من السمريين ولكنهم كانوا اذكياء نشيطين . فاحتلوا البلاد وتعلموا لغة اهليها وصناعاتهم واقتبسوا حضارتهم . وعلى تمادي الزمان



نفوقوا عليهم . ومن هذا المزيج نشأت الامة البابلية التي كانت لها شأن في تاريخ الحضارة الاول .

ثم طغت مملكة عيلام المتاخمة لبابل من جهة الشرق وغزتها مع انها احط منها . واستولت عليها عدة قرون . واكتسب العيلاميون كثيراً من تمدن البابليين المغلوبين لهم . ثم ما لبثت ان ظهرت دولة عربية في بابل نفوقت لعهد حمورابي فغلبت العيلاميين وضمت عيلام اليها فانسمت المملكة البابلية .

والغريب انه في تلك العصور وفي تلك البلاد كان الانحطاط دائماً يغلب الرقي . فبعد ان قضت بابل في عزها التمدني نحو ١٥٠٠ سنة من عهد حمورابي غزاها احد الملوك الاشوريين سنة ٧٢٨ ق م مع ان اشور كانت منخطة زمناً طويلاً ومن ثم جعلت اشور الغالبة تقتبس من تمدن بابل المغلوبة حتى نفوقت عليها .

ثم بعد ذلك جاءت دولة الفرس واجتاحت اشور وكلدنيا وهي احط منها ايضاً واستولت عليها . وما لبث الشعب الفارسي الآري الاصل ان اقتبس من المدنية الاشورية كثيراً . فتري مما تقدم ان الآريين اقتبسوا مدينة الاشوريين والبابليين السابقة من الشرق بواسطة الغلبة والفوز ومن الغرب بواسطة الانقلاب كما سبق القول . اظن ان هذه الامثلة كافية للاستشهاد على الحالة الثانية اي ان الامة الغالبة المنخطة

تقتبس من مدينة الامة المغلوبة الراقية .

٣ — بقي التمثيل للحالة الثالثة وهي ان تكون الامتان متعادلتين في الرقي . وهو امر كثير الحدوث في الحياة الاممية الاجتماعية ونتيجته على الغالب : اولاً ان تقتبس كل من الامتين محاسن مدينة الاخرى . وثانياً ان الاصطدام بينهما قلما يكون عنيفاً بحيث يبقى لكل امة كيانهما اذا لم يتيسر اندغامها بالتزاوج والاندماج الشعبي .

فن امثلة ذلك ان سبي الاسرائيليين الى بابل لم يضرهم كثيراً . فقد نالوا حظوة في عيني بلشاصر اذ رأى من علومهم ورفيقهم ومعارفهم ما جعله يحترمهم . ولا ريب ان البابليين اقتبسوا كثيراً من علوم الاسرائيليين وشرائعهم كما ان هؤلاء اقتبسوا من البابليين في كل احتكاك حدث بينهم . وفي شريعة موسى كثير من شريعة حمورابي . كذلك الفينيقيون الذين كانوا اقل الامم ميلاً للحروب وخوضاً لها كانوا يستعمرون

شواطي البحر المتوسط استعماراً اقتصادياً أكثر منه سياسياً . فكانوا واسطة لنقل المدنية من موطن الى موطن ومن الشرق الى الغرب . كانوا ككريات الدم الحمراء التي تنقل أكسجين الهواء الى جميع خلايا الجسم . كانوا يقتبسون ويقتبسون ولذلك استطاعوا ان يحفظوا كياناتهم زمناً طويلاً بقليل حروب . لان سلاح دفاعهم عن كياناتهم كانت ما يحملونه من ابراس التمدن ويطوفون به في اقاصي العالم . فكان العالم حارساً لكياناتهم لحاجته اليهم اولاً لنفاعة منهم . وما انقضى كياناتهم الا بعد ان اسسوا دولة قرطبة واصبحت تنازع رومة السوداء السياسي والاستعماري .

\*\*\*

بعد استيفاء التمثيل على الحالات الثلاث للاصطدامات والاحتكاكات الأهمية ماذا نستخرج من النواميس الاجتماعية لسودد الأمم وانقراضها ؟  
لاريب انكم قد لاحظتم باساذني مما تقدم انه حيث توجد مدنية راقية فهناك كيانات أمة ثابتة . فالأمة التي نعتهم بالتمدن الارقي تعيش وأعمار سواء أكان هذا التمدن في الاصل لها ام انها اقتبسته من غيرها غالبية او مغالبة . فسر بقاء الأمة هو اعتصامها بارقي حضارة موجودة في زمانها واقتباسها كل جديد نافع من الحضارة سواء أكانت حاكمة ام محكومة .

وهنا لا بد من تفسير معني الحضارة او التمدن او المدنية او العمران فهي الفاظ مترادفة ومعناها مما اختلفت بشتمل على بآتي :

١ = الاخلاق المتينة أساس العدل في المعاملات .

٢ = العلم الأقرب الى الحقائق أساس التهذيب والعلم .

٣ = العمل المنطبق على العلم وهو يطلق على الصناعات والفنون والمعاملات .

لفظ الحضارة او مرادفه يتضمن هذه القضايا الرئيسية . فاذا انقضت إحدى هذه القضايا تزعزعت الحضارة وتوضت اركانها واشرفت أميتها على الانقراض انقراضاً كلياً على الأقل . وكانت حضارة جميع الأمم التي تمت واستعلت وسيطرت على غيرها شاملة جميع هذه الاركات ، كأمة الرومان التي لا تزال آثار نبوغها في الشرائع والعلوم والفنون والصناعات باقية الى اليوم . ولكن لما جعل الترف والبذخ يفسدان حضارتها

تزعزعت اركانها وسقطت بين ايدي البربر . وقد قال المؤرخون انه في ذلك الحين انظماً مشعال المدنية القديمة وسادت على العالم ظلة نحو خمسة قرون او اكثر .  
والحقيقة غير ذلك فان مشعال التمدن الذي انتقل من المشرق الى المغرب عن يد البربر لم ينطفيء في ايدي البربر والاباد تماماً . بل بقي مدة تحت المكيال الى ان رفعت اوربا المكيال عنه واستضاءت به .

ذلك لان هؤلاء البربر لم يكونوا همجاً متوحشين بل كانوا على شيء من التمدن الفطري فهم قبيلة الطوط من قبائل الجرمان . وكانت لهم آداب اجتماعية واخلاق جيدة . وانما لم يكن لهم من الفنون والعلوم والفلسفة والأدب ما كان للرومان . ولذلك كان لهم من الحرية والاستعداد للرقى ما خولهم قبول كثير من حضارة الرومان .

فلما فقد الرومان الاخلاق ، وهؤلاء الجرمان عندهم منها الكفاية بالرغم من تلقيهم بالبربر ، سقطت الدولة الرومانية المنهضة في يد اودوسر زعيم قبيلة جرمانية سنة ٤٧٦ . وبعد ذلك شرع التمدن الروماني ينتشر في اوربا تدريجاً الى ان جعل نوره يشع ساطعاً في العصر المسمى بعهد النهضة او التجديد كما نعلمون .

ثم كان حظ البقاء لكل أمة ان تقبض هذا التمدن وتشيد عليه . والا فالفناء يتهدها سلاية اوكياناً . اي اما انها لتعرض للانقراض لحماً ودماً او لتلفاني في أمة اخرى .

\* \* \*

بقي امر آخر لا يستوفي الموضوع الا بالائفات اليسـه وأعني به نتيجة هذا البحث القصوى وهو :

ان العصر الحالي غير الاعصر القديمة في الانظمة الدولية . والفرق بين ذاك وهذه هو في ضخامة الدول او صغرها . ففي الاعصر القديمة كانت بلاد كنفلسطين تشمل عدة ممالك صغيرة مستقلة الدول يحارب بعضها بعضاً . ولا يضطر للتخالف الا اذا مددها خطر دولة بعيدة . وكذلك كانت بلاد ما بين النهرين قبل ان نشأت بابل واشور ممالك صغيرة عديدة يغزو بعضها بعضاً . ومثلها كانت اليونان ورومة واني كان يقيسر لدولة كآشور ان تبسط نفوذها على البلاد التي تفقها . وذلك :

اولاً = لان وسائل المواصلات كانت ضعيفة وبطيئة جداً فلا تستطيع الدولة

المسيطرة ان ترسل قوة حربية لتقمع الثورة قبل ان تستفعل الثورة ونطرح النير . حتى ان اخبار الثورة لم تكن تصل الى مركز الدولة قبل ان يكون الثوار قد نجحوا .  
وثانياً = لان العدد الحربي لم تكن شديدة الفتك كعدد اليوم فكان المعول عليه في الحروب كثيرة عدد الجيش . لذلك كان كدراومر البابلي يدوخ البلاد الاسيوية حتى حدود مصر ثم بنقاضي منها غرامة ويفرض عليها جزية ويمضي . وهيئات ان يستوفي الجزية .

وما تعاضمت الدول الى ان صارت امبراطوريات تحكم الممالك المفتوحة حكماً فعلياً مباشراً الا منذ اسنفحال الدولة الرومانية التي كانت تستعين بالملاحدة الراقية على الاتصال باطراف ملكها .

واما في عصر النهضة الاخير الممتد الى اليوم فقد وفرت وسائل النقل السريع والمواصلات العاجلة وجاءت الكهربية ونموها تقصر المسافات وتختزل اشهر المخبرات الى دقائق . وبذلك امكن ان تضخم الدول والامبراطوريات تضخماً لا مثيل له . ثم ان عدد الحرب الجهنمية جعلت الحروب اشد هولاً واوسع ميادين حتى كادت الحرب العظمى تستغرق كل أم الارض .

فن ذلك ترى ان الفرق بين الدورين القديم والحديث عظيم جداً : ذاك صغير ضئيل ضعيف . وهذا ضخم عظيم قوي . فالدولة القوية تزداد قوة والضعيفة تزداد ضعفاً . وبالنتيجة فالامة الاحط حضارة تكون دائماً تحت خطر الامة الارقي حضارة . ذلك لان الحضارة مصدر القوة .

\* \* \*

ولذلك لا يستبعد ان اقوى الامم وارقاهن حضارة تظل تستفحل حتى تبسط كل نفوذها على معظم الكرة الارضية حيث تنشر حضارتها وتصبح جميع الامم بصيغة مدانياتها . او اذا لم يتسن لها ان تسيطر على العالم سيطرة مباشرة فتسيطر على اتحاد دولي يجمع كبريات الدول . وهذا الاتحاد الدولي يسيطر على العالم كله كجمعية الامم وبيتلعه .  
ففي هذه الحال ما ذا يكون مصير الامم الضعيفة والمخططة ؟ وهنا النقطة الماسة في الموضوع يكون مصيرها على ثلاثة اشكال .

١ = الشكل الاول : ان الامة التي تستطيع ان تقبل الحضارة السائدة تسلم من الانقراض السلافي لانها يقبلوها هذه الحضارة تستطيع ان تسليح بنفس السلاح العلمي والاخلاقي والصناعي والاقتصادي الذي تسليح به الامة المنفوقة المسيطرة . وبذلك لا يستطيع تيار الحضارة المستفحل ان يجرفها بل تظل قائمة فيه وسائرة معه . وبذلك يتسنى لها ان تكون متحدة مع الامة المسيطرة ومشاركة لها في السيطرة على العالم مع حفظ كيائها القومي .

٢ = واما الشكل الثاني : فهو ان الامة التي لها قسط من الرقي والتقدم والتي تظل مصرة على قديمها محافظة على جهودها ولا تقبل الحضارة السائدة فتظل ضعيفة السلاح الذي أشرنا اليه اي السلاح العلمي والاخلاقي والاقتصادي والصناعي . وبذلك لا يستطيع ان تصد التيار المتقدم الجارف بل ولا يستطيع ان تقف فيه لانه يقلبها ويسحقها ويفتت قوميتها فنضطر ان نندغم فيه اجزاء وثلاثى قومية . اي انها لا تنفى لجأ ودمًا بل تنفى قومًا أو أمة . يذوب افرادها في ذلك المحيط العظيم كما يذوب الملح في الماء .

٣ = واما الشكل الثالث : فهو ان الامم المخطئة التي لا تستطيع ان تجاري الحضارة السائدة بوجه من الوجوه كالمقابل العجيبة المتوحشة فهذه تنفى فناء فعليًا بالتدريج كما فنت قبائل أخرى عديدة قبلها .

وبالاجمال اقول ان الجماعات او الافراد الذين لا يستطيعون ان يقنّبسوا الحضارة الجديدة او الذين لا يريدون ان يقبلوها لاصرارهم على تقاليدهم التي لا تنفق معها فليس أمامهم الا الفناء التدريجي لانهم لا يستطيعون ان يزاحموا في معترك الارتزاق فينقرضون فقرًا وشقاءً .

\*\*\*

بعد هذا البيان لا يتعذر عليكم يا سادتي ان تفهموا كيف يمكن ان يكون مصير الشرق أمام تيار حضارة الغرب . فمستقبله في يده . ولعل بعضنا يقول : اننا اخذنا نخضر بحضارة الغربيين منذ قرن . فاز ياؤم اصبحنا ازبائنا . وعندنا علومهم ومصنوعاتهم . عندنا تلوغرافهم وتلفونهم ولاسلوكهم وسياراتهم



وقطارهم وفونوغرافهم وسينما توغرافهم الخ . وما هو الذي عديم وليس عندنا ؟ وقد قيل لي ان سيدة اوربية شهدت عرساً وطنياً فرأت فيه السيدات الوطنيات سيفن ازياء اوربية حتى خيل لها انها في حفلة عرس باريسية .

فأقول : نعم . عندنا كل ما عندهم . ولكن ازياء نساءنا من مصانعهم لامن مصانعنا وسياراتنا من معلمهم لا من معلمنا وقطارنا وتلفوننا وتلغرافنا الخ كل ذلك من صنع ايديهم وليس من صنع ايدينا . حتى العلم الذي نعلمه هو من بنات افكارهم وفوق ذلك نعلمه بلغتهم . فنحن اذاً ، اقتبسنا ثمره حضارتهم ولكننا لم نقبس حضارتهم من اساساتها . فلا نعد اذاً متسلحين بمثل سلاحهم الا اذا كنا ننشئ الحضارة الجديدة عندنا من اساسها الى قبتها وحينئذ لا يستطيعون ان يستعمرونا بل نكون مثلهم معمرين نبادلهم بضاعتهم ببضاعتنا لا بضاعتهم باستقلالنا ولا سلعتهم بمخرتنا .



## أربد طبرية

غير إربد عجلون

جاء في كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار تأليف احمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٨ ١٣٤٧ م في باب بقية المزارات الاخرى ما يلي<sup>(١)</sup> :  
 « قبرا م موسى بن عمران . بقرية يقال لها إربل من اعمال طبرية عن يمين الطريق وبها اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وابساخور وذبولون وكاذ » .  
 وقد علق صديقنا العلامة الاستاذ احمد زكي باشا في التصويبات والتصحيحات التي ذيل بها الكتاب بقوله :<sup>(٢)</sup>

« قرية إربل تعرف في ايامنا هذه باسم إربد بالدال المعملة في آخره وهي الآن من اعمال جبل عجلون التابع لحكومة شرق الأردن العربي وكانت في ايام الحكومة العثمانية عاصمة لقضاء عجلون وبها مسجد وسراي ( بُنيت سنة ١٨٨٤ ) ومناخها طيب ولها مستشرف يديع على الصحراء يمتد شرقاً لغاية بادية الشام وبطل من الجنوب والجنوب الشرقي على جبل عجلون بغاباته التي يتكاثف بها شجر البلوط العتيق . وفي ساحاتها حوض يملأه المطر فيسقي منه اهلهما على طول السنة وهي قائمة على موقع المدينة القديمة اربلا وسكانها قبل الحرب العامة زهاء ١٢٠٠ نسمة وهم الآن اكثر عدداً .  
 وانما جعلها الأتراك « إربد » بالدال المعملة للتمييز بينها وبين مدينة إربل الشهيرة بارض الموصل الى آخر ما هنالك .

وقد قرّظ الكتاب فيمن قرّظه من العلماء الاعلام صديقنا الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بتقريب طويل تستأمله مادة الكتاب وقدم الاستاذ زكي باشا الراسخة في العلوم والآداب فلما وصل الى اربل خالفه في رأيه بما لم يخصه :<sup>(٣)</sup>

(١) مسالك الابصار في ممالك الامصار جزء ١ صفحة ٢١٨ . (٢) مسالك الابصار في ممالك الامصار جزء ١ صفحة ٦ من التصويبات والتصحيحات . (٣) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٦ ص ١٨٩ .

ان لفظ اربد بالدال لم يتغير منذ الزمن الأطول واستند على ما اورده ياقوت في معجم البلدان في مادة أربد وزاد على هذا بقوله « ونظن ان ياقوت وهم في اربد فجعلها يفتح الالف وان كان تحريف العامة اليوم وقبل اليوم لا يعتد به قال وفي هذه القرية مات يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ واستشهد بقول الطبري انه مات باربد من ارض البلقا الى ان يقول وهذه اربد من جبل عجلون بعينها ثم نقل مادة « بيت أربشيل » من قاموس الكتاب المقدس وفيها انها تسمى اربد وانها شرقي بحيرة طبرية وختم كلامه بقوله « وقد أخطأ الاستاذ بول ( Buhl ) بقوله في المعلة الاسلامية ان اربد او اربد هي أيضاً أربشيل القديمة وهي في البلقاء على ١٢ ميلاً عربياً من بيسان وهي التي هلك فيها الخليفة يزيد الثاني فانه ليس في تلك الجهات بهذا الاسم الا اربد هذه ولعله تسرب اليه الهم من قول الطبري » والذي أراه ان الصديقين الصدوقين والعالمين العاملين قد هما في تعيين موقع اربد الذي قصد اليه ابن فضل الله العمري وغيره من الجغرافيين فان اربد التي من عمل طبرية وعن يمين طريق مصر لا يمكن ان تكون اربد التي بالشرق العربي والتي تبعد عن طبرية مسيرة يوم كامل . وللاصول الى هذه النتيجة يجب علينا ان نستعرض اولاً أقوال الجغرافيين لنتبين بجلاء ووضوح موقع اربد الواردة في أقوالهم ثم ننقل الى أقوال المؤرخين عن مكان وفاة الخليفة يزيد ونستخرج منها اين كانت واين يجب ان تكون ؟ وسنذكر هذه الأقوال بحسب سني وفيات المؤلفين لتسلسل الروايات ومعرفة الناقلين من المنقول عنهم فنبدأ بما قاله الرحالة ناصر خسرو القبادياني المروزي المتوفي بعد سنة ٤٣٤ هـ ١٠٤٢ م في رحلته المؤلفة باللغة الفارسية المسماة ( سفرنامه ) قال ناصر خسرو يصف طريقه من عكا الى طبرية : <sup>(١)</sup> ثم اتجهت صوب الجنوب فوصلت قرية حطين <sup>(٢)</sup> وفي غربها وادى صغير ينبع منه من الصخر عين صافية وقد بني مقابل هذه العين

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ( م ٦ ص ٧١ ) . (٢) في تعريب مجلة المجمع عن الترجمة الافرنسية لشيفر المطبوعة سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨١ م قال عنها حاضرة في الترجمة الانكليزية للاستراخانج المطبوعة سنة ١٣٠٦ هـ ١٨٨٨ م ذكرها باسم حظيرة او هذيرة وهي لاشك معرفة عن حطين كما يقتضيه رسم كلمة حطين وسياق كلام الرحالة ووصفه .

في الصخر مسجد في داخله غرفتان من الحجر و باب المسجد من الضيق بحيث ان الرجل يدخل اليه بصعوبة وفيه قبران متناوحيان احدهما الى جانب الآخر وفي الاول شعيب وفي الثاني ابنه التي كانت امرأة موسى و يعنى سكان القرية بهذا المسجد وهذه القبور كل العناية ويجعلون فيها مصابيح وفرشاً .

وبعد ذلك اتجهت جهة أربل ( او أربد ) وفي جهة القبلة جبل قام في سفحه اربعة قبور وهي قبور اربعة من اولاد يعقوب اخوة يوسف ولما انتقلنا من هذا المكان رأينا أكمة قامت في سفحها مغارة فيها قبر ام موسى وفيها صليت وتعبدت .

وتوغلت في وادي رأيت في اقاصه بحيرة قامت مدينة طبرية على شاطئها الخ . وهذا هو اول رحالة مسلم اتصلت بنا اخبار رحلته في بلاد الشام . وقال علي بن ابي بكر بن علي الهروي المتوفى سنة ٦١١ هـ ١٢١٤ م في رحلته المسماة الاشارات الى معرفة الزيارات : <sup>(١)</sup>

ومن اعمال طبرية قرية يقال لها اربد ( وقد نقرأ اربل ) بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام عن يمين الطريق وبها اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وايسارخان وزبولون وكادو . <sup>(٢)</sup>

وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م : « أَرَبْدُ : قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام وقبور اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وايسارخان وزبولون وكادو فيما زعموا : <sup>(٣)</sup>

(١) من هذه الرحلة نسخة في دار الكتب المصرية وانسختان في الخزانة التيمورية لصاحبها صديقنا العلامة الجليل احمد تيمور باشا احدهما قديمة العهد والثانية حديثه ومن الزائدان نقول ان هذه الرحلة لا تزال مخطوطة لم تُنمّل بالطبع وهي من الكتب المفيدة في تعيين مواقع الزيارات في الشام ومصر والحجاز والعراق وسائر البلدان الاسلامية التي غشيها السائح الهروي . (٢) في النسخة الجديدة اربد وانباء يعقوب دان وايسارخان وزبولون وكادو . (٣) معجم البلدان طبع لبيبسك ( ج ١ ص ١٨٤ ) .

وجاء في كتاب مرصد الاطلاع على أسماء الاماكن والبقاع لصفي الدين بن عبدالحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ١٣٣٨ م وهو اختصار مهم البلدان المتقدم ذكره<sup>(١)</sup> :  
 أرْبَدُ : قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق مصر بها قبر ام موسى بن عمران وقبر اربعة زعموا انهم من اولاد يعقوب » .

فيتضح معنا من هذه الأقوال ان اربد قرية بالقرب من طبرية على قارة الطريق المؤدية الى مصر ولم تكن طريق دمشق الى مصر في تلك الايام الا من ناحية الأردن بدليل ما قاله عنها ثقات الجغرافيين نورد من ذلك ما قاله احمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي المتوفى سنة ٢٧٨ هـ ٨٩١ م قال<sup>(٢)</sup> :

« ومن مدينة دمشق الى جند الأردن اربع مراحل اولها جاسم<sup>(٣)</sup> من عمل دمشق وخسفين<sup>(٤)</sup> من عمل دمشق وفيق<sup>(٥)</sup> ذات العقبة المذكورة ومنها الى مدينة طبرية وهي مدينة الأردن » .

واستكمل المراحل من جند الأردن الى جند فلسطين حتى بلغ بها مصر .  
 وما ذكره ابن خردادبة المتوفى في أواسط القرن الثالث للهجرة واواخر التاسع لليلاد فقد قال ان الطريق :

(١) مرصد الاطلاع طبع ليدن (ج ١ ص ٤٦) :

(٢) كتاب البلدان طبع ليدن سنة ١٨٦٠ م ص ١١٥ والكتاب ذاته طبع ليدن سنة ١٨٩١ م بذيل كتاب الأعلام النفيسة لابن رسته ص ٣٢٧ .

(٣) جاسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الاعظم الى طبرية ذكرها ياقوت الحموي في معجمه .

(٤) خسفين قرية من اعمال حوران بعد نوى في طريق مصر بين نوى والاردن وبينها وبين دمشق خمسة عشر فرسخاً ذكرها ياقوت .

(٥) أفيق بزيادة الالف قرية من حوران في طريق النور في اول العقبة المعروفة بعقبة أفيق والعامية تقول فيق تنزل في هذه العقبة الى النور وهو الأردن وهي عقبة طويلة نحو ميلين ذكرها ياقوت .



من دمشق الى الكسوة<sup>(١)</sup> اثنا عشر ميلاً ثم الى جاسم اربعة وعشرون ميلاً ثم الى  
فيق اربعة وعشرون ميلاً ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة أميال<sup>(٢)</sup> .  
وأنتمها على هذا الوجه حتى انتهى بها الى مصر .

وما ذكره قدامة بن جعفر الكاتب المتوفى سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م فقد قال ان الطريق  
الدارج الى طبرية يأخذ من بعلبك<sup>(٣)</sup> الى عين الجر<sup>(٤)</sup> عشرون ميلاً ومن عين الجر الى  
القرعون<sup>(٥)</sup> وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر ميلاً ومن القرعون الى قرية يقال لها  
العيون تمضي الى كفرليلى<sup>(٦)</sup> عشرون ميلاً ومن كفرليلى الى طبرية خمسة عشر ميلاً .

ثم أردف ذلك بقوله وان اخذ الطريق الى جبال الأردن من دمشق فالطريق  
المستقيم من دمشق الى الكسوة الى آخر ما ذكره ابن خردادبة وقد تقدم<sup>(٧)</sup> .  
وما ذكره محمد بن البشاري المعروف بالمقدمي المتوفى بعد سنة ٣٧٥ هـ ٩٨٥ م :

(١) الكسوة على ما قاله ياقوت قرية هي اول منزلة ننزلها القوافل اذا خرجت من  
دمشق الى مصر وهي اليوم اول محطة للسكة الحجازية بين دمشق واذرعات على الكيلومتر  
٢٥٠ . (٢) المسالك والممالك ص ٧٨ . (٣) يقول ياقوت بعلبك مدينة قديمة فيها أبنية  
عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لانظيرها في الدنيا بينها وبين دمشق ثلاثة  
ايام وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل . قلنا ولا يزال أهله يقصد اليها السياح من  
أقطار الارض لمشاهدة آثارها وهياكلها البديعة الصنع الفريدة الوضوح وهي محطة للسكة  
الحديدية السورية على بعد ١٠٨ كيلومترات عن دمشق بين رياق وحلب . (٤) عين  
الجر . موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق ذكره ياقوت في معجمه قلنا وهي اليوم  
القرية المعروفة بغير وكانت من قلاع الشام الحصينة قديماً . (٥) لا ذكر للقرعون في  
معاجم البلدان وانما ذكر ياقوت القرع وقال اسم لاودية في بادية الشام سميت بذلك لانها  
لا تلبث شيئاً والقرعون اليوم قرية من قرى البقاع . (٦) لم يذكر في المعاجم العيون  
وكفرليلى وذكر ياقوت مرج عيون بسواحل الشام وقال العيون جمع عين الماء وهي في  
مواقع . قلنا ونظن انها باقيتان الى الآن وبقطن الثانية مهاجرة الشركس على ما قبل لنا .  
(٧) نبد من كتاب الخراج وصنعة الكتابة المطبوع بذيبل المسالك والممالك ص ٢١٩ .

وتأخذ من دمشق الى الكسوة يريدن ثم الى جاسم مرحلة ثم الى أفيق مثلها ثم الى طبرية يريداً<sup>(١)</sup> .

فلما كان من دمشق وما إليها الى مصر طريقان مطروقان أحدهما يدعى بالدارج والآخر يعرف بالأعظم وإلى يوم الناس هذا تسمى العامة الأول المدراج الغربي والثاني المدراج الشرقي .

ولم يقل هؤلاء ولا غيرهم بطريق آخر يسلك فيه من دمشق الى مصر .

ولنرجع الى أقوال المؤرخين والرواة الذين ذكروا موضع وفاة الخليفة الأموي يزيد ابن عبد الملك بن مروان : قال أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ٨٩٥ م :<sup>(٢)</sup>

« توفي يزيد بن عبد الملك بالبلقاء من ارض دمشق وكانت وفاته سنة ١٠٥ »

وقال محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م ما ملخصه :

وفي هذه السنة اي ( ١٠٥ هـ ٧٢٣ م ) مات الخليفة يزيد بن عبد الملك يوم الجمعة

خمس ليال بقين من شعبان قال وقال الواقدي كانت وفاته ببلقاء من ارض دمشق وقال علي بن محمد مات باربد من ارض البلقاء<sup>(٣)</sup> .

وقال علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م

وتوفي يزيد بن عبد الملك باربد من ارض البلقاء من أعمال دمشق<sup>(٤)</sup> .

وقال علي بن الحسين المشهور بابي الفرج الاصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ٩٦٦ م :

نزل اليزيد بيت رأس بالشام<sup>(٥)</sup> ومعه جاريته حبابة وخلا بها فأتيا بما يأكلان

(١) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٩٠ . (٢) الاخبار الطوال طبع مصر

ص ٣٢٠ . (٣) تاريخ الامم والملوك ج ٨ صفحة ١٧٨ . (٤) التنبيه والاشراف صفحة ٣٢٠

ومروج الذهب بهامش تاريخ الكامل لابن الاثير ج ٧ صفحة ١٣٣ . (٥) بيت رأس قرية

شرقي نهر الأردن كانت أنسب إليها الخمر الجيدة ولا تزال صهار يجبها وآثارها ماثلة للعيان .

وقد ذكرت في معجم ياقوت بأنها قرية وقيل كورة بالأردن وفي كتاب المشترك وضماً والمفترق

صقماً قال ناحية بالأردن وهي اليوم مأهولة واسمها باليونانية ( Capitolas ) .

فأكلت رمانة فشرقت بحجة منها فماتت فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيرت وأنثنت وهو يشمها ويرشفها فعاتبه بعض ذوي قرابته واصدقائه وعابوا عليه عمله فأذنت في غسلها ودفنها وعاش بعدها أياماً معدودات ومات فدفن إلى جنبها<sup>(١)</sup>.

وقال علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م :

خرج اليزيد بحبابة جاريته إلى ناحية الأردن بنزهران فرماها بحجة عنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت فتركها ثلاثة أيام لم يدفنها حتى أنثنت فكأنم سيفاً امرها حتى أذن في دفنها وعاد إلى قصره كثيباً حزيناً وتوفي بعد ذلك وكان مرضه السل<sup>(٢)</sup> وقال علي بن محمد بن عبد الرحمن الروحي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م وتوفي يزيد بـحـرـات<sup>(٣)</sup>.

وقال غريغور يوس بن هررون الطبيب الملقب المعروف بابن العسيري المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ١٢٨٦ م في صدد يزيد وجاريته حبابة :

« وخرجت معه إلى ناحية الأردن بنزهران فرماها بحجة عنب فاستقبلتها فيها فدخلت حلقها فشرقت ومرضت بها وماتت وتوفي يزيد بعدها بخمسة عشر يوماً ومات ودفن إلى جانبها سنة خمس ومائة<sup>(٤)</sup> ».

وقال محمد بن عيسى المعروف بكال الدين الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م :  
وتوفي يزيد بن عبد الملك بأربل من أرض البلقاء وقيل بالجلولان وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق ودفن فيها وكان مرضه بالسل<sup>(٥)</sup>.

وقال حسين بن محمد الحسن الديار بكرلي المتوفى بعد سنة ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م .  
ومات يزيد بسواد الأردن بمرض السل قاله هيثم بن عمرو<sup>(٦)</sup>.

(١) الاغاني ج ١٣ صفحة ١٥٧ . (٢) كامل التواريخ ج ٥ صفحة ٤٥ .

(٣) بلغة الظرفاء في ذكرى تاريخ الخلفاء صفحة ٢٥ . (٤) تاريخ مختصر الدول

صفحة ١٩٩ . (٥) حياة الحيوان ج ١ صفحة ١٢٧ . (٦) تاريخ الخميس في احوال

الفس نفيس ج ٢ صفحة ٣٥٥ .

وقال احمد بن سنان بن يوسف بن احمد القرماني المتوفى سنة ١٠١٩ هـ ١٦١٠ م .  
وتوفي يزيد بن عبد الملك بمرض السل باربل من ارض البلقاء وقيل بالجولان وحمل  
على أعناق الرجال الى دمشق وقيل مات باذرعات ودفن فيها <sup>(١)</sup> .  
وقال محمد بن احمد بن عبد الغني بن علي الاسحاقي المتوفى بعد سنة ١٠٣٢ هـ ١٦٢٢ م :  
وتوفي يزيد بنجران في شهر شعبان سنة خمس ومائة <sup>(٢)</sup> . وكأنه نقل هذا عن الروحي  
فجعل حران بنجران . وحران هذه قرية بغوطة دمشق وبنجران من قرى حوران  
ذكرهما ياقوت في معجمه .

وأخرب ماورد في هذا الباب هو قول ياقوت الحموي في مادة 'إز' 'إز' بالزاي :  
'إز' يد : قرية من قرى دمشق بينها وبين اذرعات ثلاثة عشر ميلاً . فيها توفي  
يزيد بن عبد الملك بن مروان الخليفة بعد عمر بن عبد العزيز في شعبان وقيل في رمضان  
سنة ١٠٥ . واختلفوا في سبب موته هناك . فقال اهل الشام كانت متوجهاً الى بيت  
القدس فرض هناك . وقال آخرون بل خرج للنزهة وانقص كما ذكر في خبر وفاته  
الفظيع الشنيع فحمل على أعناق الرجال الى دمشق فدفن في مقبرة الباب الصغير وباب  
الجابية وقيل بل دفن حيث مات <sup>(٣)</sup> . ولزيادة الايضاح وتحليل الحادثة وتعليقها نذكر  
ما رواه اهل الجغرافية عن الأردن والבלقاء والجولان التي نسبت اليها حادثة الوفاة .  
فالأردن احد أجناد الشام الخمسة وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور  
وعكا : والبلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى فصبها عمات :  
والجولان قرية وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران وقال بعضهم يقال للجبل  
حارث الجولان وقيل حارث قلة فيه .

هذا ما روي عنها باختصار وأوردناه لنستعين به في اثبات نظريتنا في ان اربد عجولون  
هي غير اربد طبرية .

وبعد فان اربد الواردة في مسالك الابصار وغيره من الكتب هي اليوم قرية دارسة

(١) اخبار الدول وآثار الاول ص ١٤١ . (٢) اخبار الاول فيمن تصرف في مصر

من ارباب الدول صفحة ٥٦ . (٣) معجم البلدان ج ١ صفحة ٢٣١ .

تحت قرية حطين بينها وبين مدينة طبرية وبحيرتها وبين قرية المجدل وهي على عين القادم من دمشق الى مصر يعرفها العامة الى اليوم بهذا الاسم وفي جوارها قلعة متهمة واليك ما قاله عنها الدكتور بوست من المعاصرين الاحياء في مادة بيت اربثيل « (بيت دار الله او ممكن الله سفره وشع الاصحاح ١٠ : ١٤ ) اربيلة وهي اربدة الحالية شرقي بحر طبرية <sup>(١)</sup> » قلنا والصواب شمالها .

وقال القس اسعد منصور :

« بيت اربثيل أخبر بها سلمان ملك آشور وقتل كل سكانها ( هو ١٠ : ١٤ ) هي الآن اربدة خربة على نحو ثلاثة أميال شمالي طبرية وجنوبي قلعة ابن معن ذكرت في سفر المكابيين الأول باسم اربلا ( ١ مكاب ٩ : ٢ ) بقربها كهوف حصينة اتخذها اللصوص مكاناً لهم حتى شنت شملهم هيرودس الكبير <sup>(٢)</sup> » .

وفي تعاليق صديقنا الاستاذ السيد نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل <sup>(٣)</sup> :

« وقيل المجدل ترى وادي الحمام الى الغرب وعلى شفا جرف عال قلعة اربدة او اربلا فيها مغارات يتصل بعضها ببعض بممرات وفي المغاور آبار وبصعب الصعود اليها من الشرق وهي محاطة بسور من الورااء ولقد ذكرت في التلمود بانها بين صفورية <sup>(٤)</sup> وطبرية وذكرت في تاريخ يوسفوس باسم مغاور اربلا ولقد حاربها تيطس الروماني واقتاداهلها بحيلة الهزيمة الى السهل وهناك دار عليهم وكسروهم وبدد شملهم » .

على ان بيدك صاحب الدليل المعروف باسمه يقول عند ذكره الطريق من طبرية الى تل حوم وصفد :

على بعد نصف ساعة من المجدل الى الغرب في السفح الجنوبي من وادي الحمام خربة

(١) قاموس الكتاب المقدس ٢٦٣ . (٢) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب

صفحة ٢٢٢ . (٣) تعاليق مخطوطة عن البلدان الفلسطينية .

(٤) صفورية في معجم البلدان كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام وهي قرب طبرية وهي اليوم قرية كبيرة على جانب الطريق بين الناصرة وطبرية وفيها كنيسة بنيت على أنقاض كنيسة قديمة وقد كانت كرسي أسقفية للنصاري .

اربند وهي اربلا القديمة وهناك اطلال معبد يهودي وهو الذي ذكر في التلمود وهذا المعبد يقع على طرف الوادي (١) .

وهذه الأقوال تؤيد ما قاله الاستاذ بول ( Buhl ) في الملحمة الاسلامية ان اربند هي اربيل القديمة وانها في البلقاء على اثني عشر ميلاً غرباً من بيسان وهو القول الذي خطأ الاستاذ كرد علي كما سبق بيانه ولعل الاستاذ بول اخذ بأقوال المؤرخين العرب الذين قالوا ان الخليفة يزيد قضى باربند من ارض البلقاء فجاءهم على تعريبهم والا فان اربند الحالية هي من الاردن والاردن يجاوره من ناحية البلقاء ومن أخرى الجولان فاذا التمس الامر على المؤرخين في تعيين الجند والكونة فقال بعضهم ان اربند في البلقاء وقال الآخر انها في الاردن وقال غيره انها في الجولان فلا غضاة عليهم في هذا . ومادنا قد وصلنا الى اخبار التوراة التي استشهد بها من نقلنا عنهم ، فلنصحح اسماء ابناء يعقوب الاربعة الذين ذكرهم ابن فضل الله ومن تقدمه من الرحالة والجغرافيين وهم :

دان : وكان يحكم ملكه شرقاً يهودا وبنيامين وجنوباً يهوذا وغرباً يجرالروم وشمالاً افرايم  
يساكر : = = = الأردن = منسى = اشير = زبولون  
زبولون : = = = بحر الجليل والاردن = يساكر = اشير = نفتالي  
جاد : = = = عمون والبادية = زاوبين = الاردن = منسى  
وبحر الجليل هو بحيرة طبرية

بقي علينا ان ننظر في المكاف الذي توفي فيه الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك بالاستدلال مما تقدم .

لم يذكر لنا الجغرافيون قرية او بلدة باسم اربند في جهات البلقاء على ما حددها هم انفسهم وكان حرياً بهم ان يذكروها اذا صح ان خليفة توفي فيها ولما ذكر ياقوت مكان هذه الوفاة قال عنها اربند بالزاي كما سبق بيانه فاذا لم يكن الخليفة قد توفي بازبند كما زعم ياقوت

(١) دليل بديكر الطبعة الافرنسية لسنة ١٩١٢ صفحة ٢٥٢ ( Baedeker )  
( page 252 )

وعدها مجاورة لاذرعات<sup>(١)</sup> — ونظنه قد وهم في اعجام الراء فيكون صوابها أربد التي قرب عجلون لأن هذه القرية تبعد اليوم ٢٥ كيلومتراً عن اذرعات — وكان التبس على ياقوت الامر بين أربد وأربد فيترجح معنا ان هذا المكان هو أربد المجاورة لطبرية للاعتبارات التالية :

(١) = ان أربد عجلون شديدة البرودة في موسم الشتاء فلا تصلح لان تكون منزهاً او منتجعاً للخليفة في شهر شعبان من سنة ١٠٥ هـ الموافق لشهر يناير — كانون الثاني — من سنة ٧٢٣ م لان البرد فيها وفي نواحي البلقاء يكون على أشده في ذلك الشهر .

(٢) = ان اول مؤرخ ذكر أربد هو الطبري كما تقدم بيانه ولما ذكرها ففتح الباء منها فقال أربد مما يؤيد رأينا في ان مكان وفاة الخليفة هو أربد التي بقرب طبرية فان التي بعجلون سواء أكانت بالزاي المنقوطة ام بالراء المهملة فهي بكسر الباء .

(٣) = ان أربل او أربد او إربل او إربد هذه قد عرّبها العرب عن أربلا او أربشيل وهي واقعة على يمين الجادة السابلة من دمشق الى مصر ومن القرى التي لها شأن مذكور في التاريخ الاسرائيلي .

(٤) = سواء أكان الخليفة قد جاءها للزومة ام للاستشفاء ام وصل اليها في طريقه الى بيت المقدس فانه يجب ان يأتيها من الطريق المسلوكة وهي محاذية لها .

(٥) = ان بحيرة طبرية وما جاورها من الاراضي البركانية معروفة بجفاف الهواء وهي تصلح لسكنى المصدورين فلا يستبعد ان يكون الاطباء قد اشاروا على الخليفة المربض بهبوطها عندما اشتد البرد والبرد بدمشق . وطبرية معتدلة الهواء في فصل الشتاء لا يكاد يشعر ساكنها بتأثير القرية وهي شديدة الحرارة في الصيف لانخفاضها عن سطح البحر ٢٠٨ أمتار فهي من المشاتي الجميلة التي يوصي بها الاطباء لمثل هؤلاء المرضى والأعلاء .

(٦) = ان أربد طبرية واقعة بجوار سهل جنبسارة ومطلّة عليه من عل وهذا المرج الممتد على شاطئ البحيرة التي كانت تنسب اليه قبلاً والذي يسميه العرب اليوم

(١) اذرعات من المدن الكبرى جاء ذكرها في أشعار القدماء وقد ذكرت في معجم ياقوت وهي تعرف اليوم بدرعا ولها محطة على الكيلومتر ١٦١ من حيفا الى دمشق في السكة الحديدية الحجازية ومنها ننفرع الى ناحية الحجاز .



بالقوة وير نصغير الغور كان مضرب المثل في خصب التربة والجمع بين أشجار المناطق الحارة والباردة لاعتدال جوده وجودة ثماره وبقوله الى حد ان اليهود كانوا يحرمون نقل تلك الثمار الى بيت المقدس في الأعياد الثلاثة التي كان يفرض عليهم فيها السعي الى زيارة الهيكل مشاة على الأقدام لثلاثتهم تلك الثمار للطهية عن العبادة ( هكذا يقول يوسفوس المؤرخ اليهودي ) . وقد استولى المسلمون على هذه الارض وهي في حالة حسنة من الخصب والنمو واستبحار العمران فلا غرابة في ان يكون الخليفة قد أقام في هذا المكان المرتفع للزخمة أو أقام فيه ليتمتع بجفاف الهواء وجمال المنظر .

(٧) = قد يكون الخليفة قدم طبرية مستشفياً او في طريقه الى بيت المقدس — وهذا مانسته بعدة لاضطراب باله واختلال حاله بعد وفاة حبابه والعبدة على الرواة — فاشتدت عليه وطأة الداء وهو في طريقه وقضى نحبه فنقل الى اربد الى ان نتخذ التدابير اللازمة لاعلان موته وتولية ولي عهده خوفاً من حدوث حادثة او وقوع واقعة .

(٨) = اذا سلمنا جدلاً ان الخليفة توفي باربد او اربد عجولون في طريقه الى بيت المقدس وقد كانت اذذاك طريقاً أخرى تصل دمشق ببيت المقدس من ناحية اذرعات ومنها الى الزرقاء فعمان فبيت الرام فأريحا فبيت المقدس فما الذي أوصله الى اربد وهي تبعد زهاء ٣٥ كيلومتراً عن اذرعات ؟ .

هذا ماعن لنا ابداه في هذا الشأن وقد لا نكون من الاصابة على طرف التمام ولكنها خطرات افكار مبنية على حقائق واعتبارات جدية بالاهتمام .

عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمي العربي



## ابن خلدون

هو حكيم المؤرخين ، وعلم المحققين ، الفقيه الكاتب الشاعر المصنف القاضي ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون .

وبين عبد الرحمن وجده الاكبر خلدون آباء بقدرهم ابن خلدون نفسه بطريق الجدس بنحو عشرين أباً وان لم يحفظ من أسمائهم الا عشرة .

وبنهى نسبه الى وائل بن حجر من أقبال حضرموت ، وقد على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه ، ودعاه ولولده . ثم كان في شيعة معاوية ، ونزل خلدون من ولده ( ويسمى خالد بن عثمان بن الخطاب ) بلدة قرمونة من الاندلس في رهط من قومه . ثم انقلوا الى اشبيلية ، وأسسوا فيها بيتهم الشهير ، وخدموا في الجند وقيادة الجيوش زمن بني أمية ، واستبد بحكمها بعضهم ، وبقوا يتماورون أعمال الولاية والقيادة وخدمة السلطان زمن ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين ، فلما ضعف شأن الموحدين بالاندلس ونشأت دولتا بني هود وبني الأحمر ولم تستطع هذه الدفاع عن اشبيلية واشك الاسبان ان يستولوا عليها ، رحل عنها آل خلدون الى سبتة ، ثم انقلوا الى افريقية في جوارها امبرها الميزكربا الحفصي ، فأسسوا بيتاً جديداً بتونس يعيش بخدمة الدولة الحفصية في الشؤون العسكرية والسياسية ، الى ان انصرف آخرهم محمد ابو المترجم عن وظائف السيف والحكم ، وانقطع الى طاب العلم والادب والرباط للعبادة ، فشب ابنه عبد الرحمن على مذهبه اولاً ، ثم نزح به عرق الوراثه فقضى في الحكم والسياسة اكثر عمره كما صنيته . ولد عبد الرحمن بن محمد مترجماً في غرة رمضان سنة ٧٣٢ بتونس ونشأ بها ، فحفظ القرآن وتلقى على ابيه مبادي العربية والأدب والفقه ، وحفظ المعانيات والحجاسة وكثيراً من شعر القدماء والمحدثين ، ثم اخذ عن كثير من فحول علماء تونس ومن جلا اليها من علماء المغرب الاقصى والاندلس ، وقرأ القرآن بالروايات السبع ، ودرس النحو واصول الفقه وفروعه على مذهب مالك ، وقرأ الموطأ وصحيح مسلم ، واخذ بالمنطق وتعاليم الفلسفة والحكمة على طريقة ابن رشد وغيره ، والحساب وفن الكلام على مذهب الاشاعرة على العلامة الابهلي الاندلسي .

وانفق ان دم افريقية طاعون جارف مات فيه أبواه واكثر ذوي قرابته واستياخه فكسف باله ، ومال الى الاشتغال باعمال الدولة ، فتولى كتابة العلامة عن السلطان ابي اسحق الحفصي وهي ( الحمد لله والشكر لله ) تكتب باخط الغليظ بين البسملة وما بعدها من مخاطبة او مرسوم ، وسنه لانتجاوز العشرين .

وكأنه استنصر هذا العمل فعزم على الخروج الى المغرب الأقصى لعله يجسد عملاً أرفع ، فما كاد يخرج مع سلطانه في غزاة انهزم فيها حتى يم المغرب قاصداً السلطان ابا عنان المريني بفاس فلقبه في طريقه امير بجاية ( عناية ) الا ان فصره عن قصد ، وأخذه معه الى بلده في خدمته ، الا ان شهرته بالفضل كانت قد بلغت ابا عنان ، فطلبه منه ، فأرسله اليه ، فضمه الى مجلسه العلمي الذي كان يعقده للعلماء والادباء يناظرهم فيه ويشاركهم في البحث ، وعهد اليه بمثل عمله في تونس الا ان ابن خلدون انهمز فرصة لقاء هؤلاء الأعلام فأكب على التحصيل والاخذ عنهم واستكمال علمه عليهم ، وازداد حظوة عند السلطان ونفوذ جاء ، فأوغر ذلك صدور المقربين للسلطان ، فاتهموه عنده ان صدقاً وان كذباً نجلالة امير بجاية على الدولة ، فقبض عليه وعلى امير بجاية وأودعها السجن . ثم أطلق الامير ، ولبت ابن خلدون في السجن نحواً من سنين مات في نهايتها السلطان ، فأخرجه الوزير الحسن بن عمر من السجن ، وقلده عمله القديم الا ان ابن خلدون لم يختبر العافية وعيشة الهدوء بل سعى في تدبير الامر للامير ابي سالم المريني ( وكان منفياً الى الاندلس ) حتى سهل له الاستيلاء على ملك المغرب . وعندئذ اصدق عليه الأموال الطائلة وقلده كتابة السر وانشاء الرسائل السلطانية . فعدل عن مألوف كتاب المغرب من الكتابة المسجوعة البديعية ، وآثر المرسل من الكلام البليغ على طريقة القدماء . ثم ولاه خطة المظالم ، وهي وظيفة جلييلة في الدولة ، فهاج ذلك حساده ووشوا به الى السلطان ، فشكر له . وأحس ابن خلدون ذلك منه فتأمر هو والوزير عمر بن عبد الله على خلعه ، فخلع واستبد الوزير بالملك ، وكافأ ابن خلدون بعمل لم يعجبه ، فانتقطع عن خدمة الديوان لمرط الدالة ونزق الشباب ، نجفاه الوزير ، فاستأذنه في الخروج ، فأذن له بعد مشقة .

وكان ابن خلدون قد ادى للسلطان محمد بن الاحمر وزيره لسان الدين بن

الخطيب خدمات جليلة ايام نفيها الى المغرب ، فأراد ان يستغل ما قدمه اليهما فكتب اليهما بالقدوم الى الاندلس ، فلقياه بالخفاوة والكرامة ، واسفره ابن الاحمر الى ملك قشتالة الاسباني باشبيلية في مهمة ، فنجح فيها ، وحظي عند السلطان واختص به في اكثر مجالسه ، فأحفظ ذلك صدر ابن الخطيب ، ف شعر ابن خلدون بالامر ، وتخوف العاقبة . فاستأذن السلطان ان يرحل الى بجاية لخدمة اميرها فأذن له على كره ، فولاه امير بجاية اكبر عمل في دولته ، وهو منصب الحجابة ، ولكن سوء حظه حوّل مجرى الامور ، فخرج عليه ابن عمه وقتله ، فلم ير ابن خلدون بأساً في تسليم المدينة له جلباً لمودته ، ولكن مودته لم تدم ، فأوقع الوشاة بينهما .

فخرج من بجاية وعزم على الانقطاع عن السياسة والاشتغال بالعلم والتدريس بمدينة بسكرة ، الا ان ربح السياسة عصفت به ، فخرج الى فاس ، فلم يطب له فيها العيش وانكر له المستبدون بها ، وظنوا انه ياتي عليهم اعداءهم بالمغرب ، فاستأذنهم في الخروج الى الاندلس ، فعاد اليها ولاقاء ملكها محمد ، ووزيره ابن زمرك بعد مقتل ابن الخطيب غير ان اعداء ابن خلدون بالمغرب والاندلس أبلغوا ابن الاحمر انه كان يسعى في خلاص ابن الخطيب من نكبتة ، ويحطب في حبله ، فطرده ابن الاحمر من بلاده ، فخرج منها بائساً لا يدري اين يذهب ، حتى أذن له ملك تلمسان ابو حمو بدخولها مع انه كان حاقداً عليه لمظاهرة لاعدائه ، وبعد مدة كلفه الخروج الى بعض اهل البسود لاستمالتهم الى طاعته فغير وجهه فصدده ، ونزل ضيقاً على أولاده عريف في كنفهم ، وبات العزم على الانقطاع عن اعمال السياسة والشروع في التأليف ، فكث بينهم اربع سنوات الف سيف خلاها معظم تاريخه العظيم ، وسود مسودة مقدمته في خمسة اشهر منها ، ثم احتاج الى مراجعة الكتب الكبيرة فاستأذن سلطان افرقية من الحفصيين بدخول تونس وطنه القديم ، فأذن له فدخلها وألهاه مراجعة الكتب والاشتغال بالتدريس والتأليف عن زيارات السلطان ومدحه في الموامم بالقصائد ، واشتهر امره في تونس واقبل عليه الطلاب والمستفيدون من كل فج ، وانصرفوا عن دروس العلماء بتونس الى درسه فوشوا الى السلطان بانه يتكبر عليه ولا يمدحه ، ومع ان ابن خلدون بعد ذلك مدحه وأهدى اليه ما أتم من تاريخه لم يصف له وجهه . فاستأذنه سيف الرحلة الى المشرق للحج واستكمال

تاريخه فأذن له ، فخرج الى مصر بطريق البحر فدخلها سنة ٧٨٤ في مبداء حكم الملك الظاهر يرقوق اول ملوك الشراكسة ، فجلس للتدريس بالجامع الازهر ، وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ فأظهر العدل والصراحة في أحكامه والضرب على ابدي المزورين والمنقاضين من الاعيان فغز ذلك على بعض الرؤساء وحسده العلماء والقضاة وسعوا به لدى السلطان ، وصادف ذلك غرق اهله وأولاده عند قدومهم اليه من المغرب ، فانقبضت نفسه عن الدنيا واستقال من القضاء وخرج الى الحج سنة ٧٩٧ . ثم رجع الى مصر وتولى التدريس حتى خرج مع كثير من علماء مصر في جيش السلطان فرج بن يرقوق للدفاعة تيمورلنك عن الشام ولكن يرقوق رجع بجيشه الى مصر دون ان يلاقى تيمورلنك لفئنة حدثت في مصر وترك تيمور يحاصر دمشق . فخرج ابن خلدون منها في جماعة من العلماء الى مرادق تيمور ، وسأله تيمور عن حاله ، فغلبه بحسب بانه ودهائه وأطلعته على ما كتبه في تاريخه من أعماله وفتوحه ، واستأذنه في الذهاب الى مصر فأذن له ولم يعد اليه . وبقي مشغولاً بالتدريس والقضاء حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ وهو قاض للمرة السادسة . ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وجعل قبره .

\* \* \*

اخلاقه = يستنبط القاري لسيرة ابن خلدون ونقله في البلاد والمناصب على اختلاف أنواعها أنه اشتمل على أخلاق من شأنها ألا تجعل حياة صاحبها هادئة هنيئة ، لا يكدر صفوها كيد الحساد ولا منافسة النظراء .

فأولها : علو الهمة والطموح الى اقتراع كبار المناصب في الدول ، ولا جرم أن هذه المناصب في الدول قليلة العدد ، عزيزة المنال تقضي أن يفرد متوليها في الدولة بالجد والاجتهاد ، وهو ما يتطلع اليه كل عظيم النفس ذكي الفؤاد ، وببذل في سبيل الوصول اليه النفس والنفيس ، ويترخص اليه كل عظيمة من سعاية وغش وخديعة وتزوير لاسقاط متوليها من منصبه وعظيم جاهه ليخلو له الجو او يقارب .

وثانيها : انه كان عظيم الثقة بنفسه الى مدى بعيد أغفله عن مراقبة خصومه ، والثقة لمكابدهم ليخبط أعمالهم ، ويرد كيدهم عليهم ، فما كان يظن كيدهم الا وقد وقع في الشرك الذي نصبوه له ، ولما نجح منه . وربما حملته ذلك على انحسار من هم دونه وقلة المجاملة لنظرائه والدهان لرؤسائه فيمل مقامه بينهم ، ويترصدون به الدوائر وربما جره

ذلك ايضاً الى الاعجاب بنفسه والدالة على رؤسائه والتحدث عن أعماله وآرائه بما لا يروق المتنافسين له .

وثالثها : قلة الوفاء لمن جذبوا بضبعه الى المعالي من الملوك والامراء والوزراء والرؤساء الذين خدمهم سيف دولتهم ، وسمحت له نفسه بمظاهرة اعدائهم عليهم عندما يتوقع ركود ربحهم ، وانقراض ملكهم : ابشاراً للسلامة ، ونوقياً للمكروه الذي قلما سلم منه ، وحرصاً على مرتبة أسمى وجاء أرفع ، وذلك الخلق متولد من النظر في الخلق الاول وهو علو الهمة .

ورابعها : انه كان كثير الملل والسامة كثير التبرم بالاكفاء والنظراء وربما كان ذلك ناشئاً عن الخلق الاول ايضاً .

\*\*\*

ذكاؤه ونفوذ خاطره في سنن العمران والاجتماع البشري = كان ابن خلدون احد نوابغ العالم الذين عاشوا افذاذاً في عصور مظلمة لم يعضدهم فيها مشاكل ، او تعرف قدرهم أممتهم ، فكانت حياتهم بين الامة التي عاشوا فيها كلها شقاء ومحنة ، فقد أهد نفوذ خاطره وصدق نظره الى الاهتمام الى كثير من علل الحوادث التي لتنتاب الاجتماع البشري وعرف ما بينها من الارتباط والتشابه حتى وقرت في نفسه بصور قوانين عامة وأقيدة مطردة سال بها قلبه دون ان يظن لها كثير من اهل قرنه ، ولم ينكشف سرها ويتفتح للباحثين صدق انطباقها على سنن العمران والاجتماع الا بعد انقضاء عدة قرون . وهذا الذكاء الفائق في ابن خلدون مراتب الذكاء المعتاد فبين نشأ على نظام التربية والتعليم المتبع في عصره هو الذي جعل تفكيره يتسامى الى أفق أعلى من أفق التفكير عند اهل عصره ، فبعدت الشقة بينه وبينهم فزالت المؤالفة والتراضي وحسن الاغتراب بالصحبة ، والى هذا يرجع شقاء كثير من أذكاء العالم على ايدي القرن الذين نشئوا بين ظهرانيهم ، فلم تثر أعمالهم في عصرهم ، وقد يحفظها التاريخ لمن يظن لها من يأتي بعدهم ، ويقتبسون من نورها في حياتهم وآرائهم ، كما فطن هو بشاغب نظره الى آراء كثير من فجول التفكير الذين سبقوه بقرون وباحوا بما جاشت به نفوسهم من قوانين وحقائق لم يشعر بها اهل زمانه ، فخنضها واستخرج منها زبدة آراء لم يعرفها العلماء الا بعد تهذيب

العلوم وترقية شؤون التعليم والثقيف ، فكان وجوده سابقاً بذكائه المتوقد للعصر الذي  
بلا ثم تفكيره بنحو أربعة قرون .

وقد يخطر بالبال المجرد من التأمل ان ابن خلدون لو لم ينهك في أعمال السياسة  
ويتول الكثير من مناصب الدولة والرياسة وكان قد توفّر على التعمق في البحث والتحصيل  
لكان للناس من ثمرة ذكائه أضعاف ما أثر عنه ، ولكن لا يعزب عن التأمل ان ما وصل  
اليه ذهنه من القوانين والآراء التي قررّها في مقدمته انما كان أكثرها بسبب احتكاكه  
بالناس حاكماً ورئيساً ومروّساً وطالباً ومطلوباً وملايساً لاجوال الملوك والمستبدين على  
اختلاف نزعاتهم وثباين أعمهم ونحلهم وأنسابهم وبلادهم .

\*\*\*

علمه وتصرفه = قدّمنا ان ابن خلدون درس في شبابه من علوم القرآن والفقه  
واصوله والكلام والعربية والآداب وتعاليم الفلسفة والتصوف ما اعتاد كثير من الحاصلين  
من اهل زمانه ان يجودوه ، بل ربما قل عنهم فيه ، لان نظامه في سلك الاعمال السلطانية  
قبل ان يطر شاربه ، وانما العبرة في ابن خلدون وأضرابه من أذكاء العالم في امرين :  
الاول الانفعال بالقليل من المعرفة بحسن تصرفه في كثير من وجوه العلم ، والثاني دوام  
الاستزادة من المعرفة كلما سنحت الفرصة ونهياً لهم الفراغ ، فيكونون على اتصال دائم بالعالم  
فلا تخمد جذوة ملكيتهم فيه ، ويعزّز علمهم ، ويتسع اطلاعهم اذا بارك الله في عمرهم  
وانفسح اجلهم ، فقد وجدناه يقوم بوظيفة خطية هي كتابة العلامة فيجودها ، ويشغل  
بصناعة كتابية من كتابة السر والاشياء الرسائل فيجود من محاسنها ، وشذب للسنارات  
وتأديب البغاة واستمالة العصاة فينجح فيها ، ويتولى الحجابة فيرفه من شأنها ، وتسد اليه  
خطة لمظام والقضاء ( وهما ثمرة الفقه والاضطلاع بالعرف ) فلا يخرّف عن جادتهما ،  
ويصنف في التاريخ والأدب والفلسفة فيعد من المبكرين والأئمة الواضحين فيها والرافعين  
من قواعد هيكلها ، ويجلس لتدريس الفقه والاصول والكلام فننشال عليه الطلاب من  
كل حذب ، ونخل له ما تعقد من صناعة التربية والتعليم ، وبصبح قدوة فيها . وبذلك  
يسقط قول الامام الجليل ابن عرفة المالكي في ابن خلدون عندما قدم مصر الى الحج

« كُنّا نعد خطة القضاء أعظم المناصب ، فلما بلغنا ان ابن خلدون ولي القضاء عدنا بالضد من ذلك » على انه كان من المنافسين له في المغرب .

\* \* \*

ابن خلدون باعتباره كاتباً مترسلاً = نشأ ابن خلدون في زمان يسلك كتاب الرسائل السلطانية فيه طريق الكتابة المسجوعة المحلاة بانواع البديع على طريقة ابن العميد وكانت طريقة القاضي الفاضل التي أساسها التورية والتوجيه والجناس قد دب دبيبها الى المغرب منذ حين حتى لا يست اقليم كثير من بلغائه كابن الخطيب ، وهي الطريقة التي سماها ابن خلدون بالشعر المنشور ، فشب ابن خلدون في كتابته على هذه الطريقة وكتب بهار دحاً من الزمن حتى ظهر له فسادها في الرسائل السلطانية ، وعدل عنها الى طريقة بلغاء الاوائل كابن المقفع واحمد بن يوسف والجاحظ ، فأحيا بذلك في عصره الكتابة المرسلة الفطرية الخالية من السجع وتكلف البديع في عصر بلغ فيه ذلك غايته ، قال عن نفسه عندما كتب للسلطان ابي سالم المريني :

« واستعمتني في كتابة سره والترسل عنه والانشاء لمخاطباته ، وكان أكثرها يصدر عني بالكلام المرسل بدون ان يشاركني احد من يتخلل الكتابة في الاسجاع لضعف اتقانها وخفاء المعاني فيها على أكثر الناس بخلاف المرسل ، فانفردت به يومئذ وكان مسنغراً عند من هم من اهل هذه الصناعة » .

وقد عرفت رأيه مفصلاً في استهجان هذا الشعر المنشور والنثر المسجوع والنعي على مستعمليه في كتابة الرسائل مما قدمناه لك عند الكلام في كتابة الرسائل زمن المماليك منقولاً من مقدمته فراجعه ثم تأمل تعليله لذلك تعرف وجه انصرافه عن هذا النوع من الكتابة في الرسائل السلطانية والرجوع الى طريقة القدماء من البلغاء نعم ان ابن خلدون بقي الى آخر حياته تصدر عنه بعض المكاتبات لآخوانه المؤثرين طريقة البديع كابن الخطيب بمحاولة لم وجرباً معهم في ميدانهم الا انه راعي فيها القصد ، ولم يتكلف البديع ، وخاصة التورية والتوجيه كما تكلفها ابن الخطيب وغيره ممن فتنوا بطريقة المشارفة حتى حاكوهم فيها بتأليف كتب العلم والتاريخ مسجوعة ، كالفتح ابن خاقان في فرائد العقيان والمطحين وكابن بسام في الذخيرة وكابن الخطيب في الاحاطة وكتاب



الحب الشريف وغيرهما ، فرباً ابن خلدون بنفسه ونزع نير التقليد من كتابة الوسائل ومع المام ابن خلدون بكثير من العلوم ذات القواعد والاصطلاحات من نقالية وعقلية لم تظهر على رسائله السلطانية والاخوانية مسحة الكتابة العلمية وأساليب العلماء كما ظهرت في ابن الخطيب .

\*\*\*

• مؤلفات ابن خلدون وكتابه فيها = ذكر لسان الدين ابن الخطيب بعض مؤلفات ابن خلدون قبل ان يؤلف تاريخه العظيم ومقدمته النفيسة فقال ( شرح البردة شرحاً بدعاً دل به على انفساح ذرعه وانفن ادراكه وغزارة حفظه وخص كثيراً من كتب ابن رشد وعلق للسلطان « محمد بن الأحمر » أيام نظره في العقليات ثقيداً مفيداً في المنطق وخلص محصل الامام الفخر الرازي <sup>(١)</sup> والف كتاباً في الحساب وشرح في هذه الايام في شرح الرجز الصادر عني في اصول النقه بشيء لا غاية بعده في الكمال ) وقال صاحب نفع الطيب بعد نقل هذا الكلام من الاحاطة هذا كلام لسان الدين في حق المذكور في مبادئ امره واوسطه فكيف لو رأى تاريخه الكبير .

ونحن وان لم يعثرنا الزمان على جميع مؤلفاته لنعرف معالم كتابته في مختلف العلوم نستطيع قياس الغائب على المشاهد من كتابة مقدمته وتاريخه نرجح ان كتابته في الاصول والكلام والفلسفة لا نبعد كثيراً عن الفصول التي كتبها في المباحث الكلامية والفقهية والفلسفية من مقدمته الجليلة وفي بعض مواضع من تاريخه . وعلى ذلك نبدأ بالكلام على المقدمة والتاريخ فنقول :

\*\*\*

مقدمة ابن خلدون = نلحظ على المقدمة من حيث عبارتها واثرها في اقلام المنشئين ومصادرهما والآراء التي انفرد بها مؤلفها فيها واثرها في ايجاد مؤلفات من نظائرها .  
( عبارتها ) : أما كتابتها فيمكننا وصفها بما يأتي :

(١) هو محصل افكار المتقدمين والمتأخرين في علم الكلام على طريقة الاشاعرة وهو كتاب عظيم القدر .

أولاً — خلوها من السجع الا في النادر كخطبة الكتاب .  
 ثانياً — جزأتها في الفاظها وبلاغتها في أكثر أساليبها ، وبظهر ذلك في كثير من  
 فصول مقدمته لا في جميعها فجاءت كتابته في هذه الفصول بمنزلة من البلاغة لا تقل عن  
 كتابة فحول القرن الثالث . وقد يسف في كتابته في بعض الفصول ، فيغلب عليها  
 التعقيد وأساليب المناطق ، فيعناصر فهمها على من لم يرتض ذهنه على فهم عبارات  
 المتكلمين والمفلسفة .

ثالثاً — الاسهاب البالغ حد التكرار الملل في بعض المواضع والايجاز الخلل المغضي  
 الى الاستغلاق والغموض في آخر وبنشأ كلاهما في احدى خصائصه : اما من اضطراب  
 أحوال النفس في انبساط وانقباض ، واما من اضطلاح وملاحة ببعض المسائل والدعاوي  
 دون بعض . ولا يبرأ التأليف من معرفة هاتين الخصائص الا بمعاودة المؤلف النظر اليه  
 في أوقات صفائه واستجباب خاطره والانحاء عليه بالثقيف والتهذيب ومراجعة الاشياء  
 والنظائر من الكتب الباحثة في مثل موضوعه ، وكل ذلك لم يكن يمتيسر الوقوع لابن  
 خلدون فيما لدينا من كتبه ، اذ من المعلوم ان المقدمة التي هي وليدة كد خاطر وقدر  
 ذهن واستقصاء في بحث كتبت في نحو خمسة أشهر ، وهذا التاريخ كتب في أقل من اربع  
 سنين ، وكأن المؤلف لم نعي له نكبات الايام ولا مكابد الخصوم عيشاً رغداً ولا بالاً  
 صالحاً لمعاودة كل ما كتب منها للتحصيل والتهذيب . وغاية ما علمناه من ذلك انه راجع  
 المقدمة فقرأ نسخة كتبت في مصر فنقم من بعض عبارتها ، وأعاد كتابة بعض فصولها  
 من جديد ، ولكن ذلك قد كان بعد ان سارت بها الركبان وحملت الى اقاصي البلدان .  
 وقد اطلعت على صورة شمسية نقلها العلامة المفضل احمد زكي باشا عن النسخة الخطية  
 التي نفعها المؤلف بخطه والمودعة احدى دور كتب القسطنطينية ، فوجدت ان هذا النقيح  
 لم يعد لها ، وبقي مدفوناً معها في هذه القبور قبور الكتب أكثر من خمسة قرون ،  
 ويظهر ان المؤلف نفعها في آخر حياته ، وأغفل امرها الى ان حملها السلطان سليم مع ما  
 حمل من الكتب والذخائر والعتاد الى حاضرة ملكه ، فاحتجبت عن قراء العربية دهرآ  
 طويلاً ، وطبعت مراراً في كثير من الممالك عن الاصل الذي لم ينقح .  
 اما التاريخ فيظهر ان المؤلف لم ينقحه بل يظهر ان باطبع منه في مصر نسخة منقولة

عن مسودة لا عن مبيضة لكثرة السقط والبياض فيه .  
 رابعاً — استعمال المؤلف فيها بعض كلمات لم ترد في معجمات اللغة او صرفت على غير مجاز عن معناها ، واستعماله أساليب تأبأها قواعد العربية في نثر الكلام ، او لا يمكن تصحيحها الا بتأول لا داعي اليه ، فيستعمل المتخال اسم آلة لرفع الأجسام ، ولا اصل لاشتقاقها في اللغة ، وكذلك الهندام وهو معرب ومعناه غير ذلك ، ويستعمل الجليل بمعنى القرن واللدات ، والهرج بمعنى الاضطراب ، ويستعمل انتشوا بمعنى نشطوا في الامر ولا أصل له في اللغة ، ويدخل الواو في خبر لا بد فيقول ( لا بد وان ) ، ويدخل باء التعدية في فعل استبدل على غير المتروك ، ويعدى نعود بعلى ، ويجعل الخبز او جواب الشرط استثناء او استدراكاً فيقول ( فانه وان كان كذا الا انه او لكنه ) ، ويؤنث الخلق ، ويستعمل التليذ اسم جمع ، ويجمع العصبية على عصائب وغير ذلك كثير في كلامه . وقد تعدته هذه الاغلاط الى قراء مقدمته المحاكين لانشائه في اول عصرنا الحاضر ، ومنهم انقلبت الى كتاب الجرائد وقرائنها . وبالرغم من هذه الاغلاط لم يكن الانقاع بمقدمته وأسلوب كتابته فيها في وقت أظهر منه في اول العصر الحاضر فقد كان أسلوب ابن خلدون المرسل المجرد عن تكلف البدع والحسنات اللفظية في تعبيره عن المباحث السياسية والعمرانية والاجتماعية والجغرافية والصناعية هو القدوة الحسنة للمصالحين والمجددين للنهضة الادبية العربية والسياسية من كتاب العربية في مصر والشام وتونس وخاصة من الف منهم في مثل موضوعاته او كتب في الجرائد والمجلات لقلة المطبوع من الكتب ، ولانه أرحب أسلوب علمي أدبي للنقلة والمترجمين عن اللغات الاجنبية المحافظين على اصل المعنى ، فهي الاستاذ الاكبر لكتاب الصحف والمجلات في نهضتنا الاخيرة ، وربما انضم اليها في ذلك كتاب كلية ودمنة .

ولم يعد للمقدمة في الثلاثين سنة الأخيرة من هذا العصر ما كان لها من عظم الشأن والقدوة الحسنة في اوائله لكثرة ما طبع من الكتب العظيمة وسهولة اقتنائها على الغني والفقير من اهل الادب لرخص ثمنها ، فشارك المقدمة في تثقيف الكتابة الادبية والتأليف كتاب الاغاني وكتب الجاحظ وتاريخ الطبري وغيرها من الكتب البليغة الممنعة . على ان كثيراً ممن يعيشون في عصرنا يكتبون في مؤلفاتهم وجرائدهم وقد

استخلصوا زبدة هذه الأساليب ما لا يقل فصاحة و بلاغة عن ابن خلدون او يزيد مع صحة عبارة واتقاء لفظ .

\*\*\*

(مصادرها) : واما مصادرها فمن النمط لفضل ابن خلدون والجهود لمواهبه وعبقريته ان نقول بان اكثر مباحثه فيها منقول من كتب المتقدمين فللرجل فيها فصول ونظريات هو ابو عذرتها ومبتكرها وخاصة ما كان منغلقا بالسياسة والاجتماع والعمران والاقتصاد حتى لا يعد مبالغاً من يقول انه واضع علمي العمران والاجتماع ، وانه من اسبق من تكلم في الاقتصاد السيامي ، وان ما كتبه في مسائل هذه العلوم يربو على نصف المقدمة . ولكن من المسلم ان الفصل الاول من العمران البشري اخذه من أمثال رسائل اخوان الصفا وكتب الجغرافيين من العرب النافلين لجغرافية بطليموس ، واخذ مباحث ادراك البشر للغيب بالفطرة او الرياضة من كتب النصوص والكلام والفلسفة دون ان يكون له كبير رأي فيها ، واخذ مباحث الخلافة والامامة ومذاهب الشيعة والخوارج فيها من كتب الكلام وكتب الملل والنحل للشهرستاني وابن حزم ، وكتاب الفرق بين الفرق والكمال للمبرد والعقد الفريد وغيرها . واخذ مباحث تاريخ العلوم والصناعات من مثل كتاب الفهرست لابن النديم ، وكتاب طبقات الامم لصاعد الاندلسي ، ومن مقدمات الكتب المطولة في التفسير والحديث ، ومن كتب التاريخ لطبقات الرجال في كل فن ، واخذ مباحث السحر والطاسمات والسيما والكيما من كتب مسئلة المجريطي والكتب المنسوبة لجابر بن حيان ورسالة ابن بشرون . واخذ التنجيم وأمرار الحروف والزائجة من كتب البونفي وابن عربي والسبتي صاحب اللامية وكلام مغاربة .

واخذ الكلام في مقامات الصوفية من مثل مقامات المحبة والمجاهدة والتوجه والفناء وفناء الفناء من كتب الصوفية من أمثال ابن عربي الاندلسي وغيره . واخذ الكلام في خطط سياسة الدولة والاحكام السلطانية والجباية من أمثال كتاب الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي وكتاب الاحكام السلطانية للباوردي ومراج الملوك للطرطوشي وكتابي مروج الذهب والتنبيه والإشراف للمسعودي وكتاب الخراج لابي يوسف ،

واخذ كثيراً من مباحث إبطال الفلسفة والنجوم والكيمياء من كتاب الغزالي وغيرها .

وما بقي من مباحث المقدمة وهو كثير خطير فهو من أبنكار أفكاره أوصله اليه كدخا طره وتممقه في فهم العلوم والنزبه لأسرار الكون والخليقة وطبائع البشر في بداوتهم وحضارتهم ونشاطهم وخمولهم هذا الى كثرة تجاربه ومزاو لته العمل في ممالك شتى مما أوضع له ارتباط اسباب نشوء الدول وسقوطها بمسبباتها علاوة على حسن الترتيب والتقسيم والنقد والتعليل لما ليس من مبتكراته وما كل ذكي الفؤاد بقادر على النقد والاستفادة مما يشاهد ويحس في البيئة التي يحياها ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

« للبحث صلة »

عضو المجمع العلمي  
احمد الاسكندري



## آراء وافكار

### استبدال الحروف العربية

« بالحروف اللاتينية »

منذ استبدال الاثراك الحروف العربية في كتابتهم بالحروف اللاتينية انتهت الافكار في الشرق الادنى عامة الى وجوب اصلاح الحروف العربية ايضاً وظهرت اقتراحات عدة بهذا الموضوع وفي جملتها انتهاج الخطة التي قبلها الاثراك وابدال الحروف العربية باللاتينية وآخر ما طالعناه مقال نشر في المقطم بتاريخ ١٠ تموز سنة ١٩٢٩ من ان عالماً مستشرقاً هولندياً اقترح على الحكومة المصرية كتابة العربية بالحروف اللاتينية وهذا هو المقال المذكور :

مهما بلغ من نزعة التجديد ونشاط المجددين عندنا فالرجاء ان لا يسمح لهم بان يحاولوا احلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية فهذا مشروع لا يقابله الناطقون بالضاد بالارتياح ولا يشير به المستشرقون الاوربيون انفسهم ولو ان بعضاً منهم رأى هذا الرأي من اكثر من ربيع قوت وعولجت القضية باسهاب كثير في المقطف فقد روى وكيلنا الاسكندري الآن ان عالماً من علماء هولندا أرسل بقتراح على وزارة المعارف عندنا ابدال الحروف العربية بحروف لاتينية وحذف سبعة حروف متشابهة من الالمجية .

اما اذا عدنا الى اختبار سوانا فان مشروع تركيبها أوقع بلادها في فوضى علمية وادبية واجتماعية لم ير لها مثيل والاخبار التي ترد من الاساتذة تدل على ان هذا التبديل أدى الى اشكال عظيم كانت الصحافة في مقدمة ضحاياه .

لقد نفرجت الشعوب العربية في اشياء شتى بعضها حسن والبعض الآخر قبيح ولكن هل معنى هذا ان يعم النفرنج كل شيء .

والظاهر ان الذين يشيرون باصلاحات جوهرية كهذه في اللغة العربية ينسون ان الترك شعب واحد في بلاد واحدة وان العرب شعوب في بلدان شتى فالذي يستقر عليه قرار واحد منها لا يسهل تطبيقه على سواه من هذه الشعوب وهي منتشرة من الاوقيانوس

الاتلانتیکی الى حدود فارس ومن جبال طورس والبحر المتوسط الى خط الاستواء .  
ان اللغة العربية في حاجة الى اصلاحات شتى يستطيع ان يمالجها مجمع لغوي عام  
كالذي فكرت وزارة المعارف المصرية في انشائه ولم ينشأ . واما القضاء على تاريخ لغة  
عظيمة عريقة في القدم وحافلة بالآثار النفيسة بإبدال حروفها بحروف أخرى فاقترح  
لا يخلو من الفكاهة ولكنه يجب ان لا يتجاوز هذا الحد ولا ان يكون موضع اهتمام من  
احد فالشعوب العربية تكافح وتسعى لمحاربة الامية فهل تعمل على خلق أمية جديدة ونقطع  
صليها بالماضي قطعاً كهذا .

فلا غرو والحالة هذه ان يكون رجال وزارة المعارف قد أجمعوا على رفض اقتراح  
العالم الهولندي فقد قيل قديماً للعرب ( خذوا لغتكم من أعجمي ) . فهل يراد اليوم ان  
يقال ( خذوا حروفكم من أعجمي ايضاً ) اه كلام المقطع .

وكان المستشرقان الافرنسيان السيدان ماسنيون وهو من اعضاء مجمعنا وبينار رئيس  
البعثة العلمانية في الشرق قد قدما بمثل هذا الاقتراح ونحنا أصدقاءهما العرب بكتابة  
لغتهم بالحروف اللاتينية ، فرد عليهم الاساذ فارس الخوري احد اعضاء مجمعنا بمقال  
نشرته صحف سوريا في أواسط كانون الاول سنة ١٩٢٨ تأخذ منه الخلاصة الآتية :  
الاسناذان العالمان ماسنيون وبينار الافرنسيان قد اشبهرا بصداقتهما للعرب عامة  
وللسوربين خاصة والراجح عندي انها حسنا النية في النصيحة الجريئة التي أسديهاها  
للسوربين في حفلات التكريم المقامة لها في بيروت باستعمال الحروف اللاتينية في الكتابة  
العربية . فها يحسبان بما أظن ان هذه الطريقة تسهل على عمال المطابع لتضيد الحروف  
وفكها وتوزعها وتخفف عناء القراءة العربية على أبناء الغرب وتيسر نقل الألفاظ الافرنجية  
وإدماجها في المطبوعات العربية وتجعل القراءة العربية الصحيحة في مقدور كل قارئ  
بإدخالها الحركات بين الحروف .

هذه هي المزايا الاربع التي يمكن الادلاء بها في جانب اقتراحها لتأيدده ولكن هناك  
من المساوي ما يفقد هذه المزايا قيمتها ويجعلها اموراً تافهة لا بؤبه لها .  
نحن لا نستطيع احذاء حذو الأتراك من هذه الجهة لان بين لغتنا ولغتهم بونا

تاسعاً وفروفاً حجة تجعل متمذراً علينا ما اختاروه لانفسهم . وهالاننا نسرد بعض الاسباب الجوهرية التي تحملنا على عدم الأخذ بنصيحة السيدين الافرنسيين :

١ — عندنا الحروف ث ح خ ذ ص ض ط ظ غ ق وهي احد عشر حرفاً ليس لها مقابل في الحروف اللاتينية . فبقى مضطرين عند قبولنا هذا الاقتراح لوضع اشكال جديدة لهذه الحروف وبذلك نفقد مزية سهولة القراءة على الاجانب عن اللغة وتصبح كتابتنا شكلاً جديداً تختلط فيه الحروف اللاتينية برموز أخرى على مثال ما هي الحال في كتابة اللغة الروسية .

هذه العقبة هان على الأتراك اجتيازها لانهم لا يلفظون هذه الحروف بمخارجها العربية الاصلية بل يخففونها ويجعلونها دانية بما يقاربها من الحرف اللاتيني فهم يلفظون الذال والزاي والضاد والطاء بصوت واحد ويكتبونه بالحرف اللاتيني Z ويلفظون الثاء والسين والصاد بصوت واحد ويكتبونه S والثاء والطاء بصوت واحد يكتبونه T والحاء والهاء بصوت واحد يكتبونه H والقاف والكاف بصوت واحد يكتبونه K والغين جيماً حلقية يكتبونه G واما العين فيلفظونها همزة او المما ويكتبونها كذلك .

فجميع الحروف التي استعاروها من العربية او الفارسية وليس لها مقابل في الابجدية اللاتينية أدمجوها بحروف أخرى تقاربها ووجدوا اللفظ بينها .

اما اللغة العربية فلا يستطيع فيها هذا التبديل والتلاعب ولا بد لكل حرف منها من شكل خاص به يصاحبه لفظه الخاص ايضاً وبدون ذلك لا تبقى القراءة الفصحى التي هي المزية العليا لهذا اللسان الرنان بل لنقلب فصاحتنا الطلية رطانة أعجمية .

٢ — خزانة الكتب العربية هي ثروة قيمة ليس للعرب وحدهم بل للمدنية والثقافة القديمة كلها فاذا اخذنا الابجدية اللاتينية نفقد هذه الثروة النفيسة ويفقد معناها العالم أجمع ولا يمكن ان يعاد طبع جميع هذه الآثار الغالية بالحروف الجديدة فتبقى الكتب الموجودة جميعها مجموعة الغاز ومعميات لا يحل رموزها من ابناء الجيل الآتي الا المنقبون عن الآثار وبارتكاب هذه الغلطة الفادحة نقطع علاقتنا مع الماضي وننسف كل جسر يوصلنا به بدون ان يكون عندنا جديد يصلح للحلول محله . اما الاتراك فليس في خزائهم هذه الثروة الثمينة وبالفصل بين حاضرم وغابرم لا يخسرون شيئاً مذكوراً .



٣ — حروف العلة في العربية ؟ ثلاثة فقط تكون طويلة وهي أ ، و ، ي وتكون قصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة لكل منها شكل واحد في اللفظ ابنا وجدت الله ما عدا الامالة انقول بها في بعض القراءات المهجورة فلسنا والحالة هذه بحاجة ماسة للاستعانة بحرف العلة اللاتينية لتمكن من اللفظ الصحيح على حين ان في التركيبة صوتين للعلة لا يمكن اظهارهما بالحرف العربي وهما (u) (eu) فما كان عندهم باملاء متشابه مثل (كول) صاروا يكتبونه اليوم بحسب لفظه guI و geul وتبقى كل كلمة لمعانها .

٤ — الكتابة العربية الحاضرة هي نوع من الاختزال لتوفيقه السرعة والاقتصاد وما يكتب منها في سطر واحد يقتضي سطرين او اكثر بالحرف اللاتيني فما هي الفائدة التي نلناها من تركها واتخاذ طريقة أخرى تكلفنا وقتاً وقرطاساً أضعاف ما نحن ملزمون به الآن ؟ . طالب الي رجل انكليزي مرة ان أقرأ له مكتوباً عربياً جاءه من صديق له واثناوات المكتوب وهو بضعة أسطر دقيقة وبدأت أتلو مضمونه عليه بالانكليزية وهو يستغرب طوله وغزارة محتوياته حتى ارتاب بصحة الترجمة ولم يصدق ان هذه الأقوال الكثيرة والجل الطويلة يمكن وجودها في تلك الأسطر القليلة .

٥ — الحرف العربي أجلى للنظر بسبب التباعد بين أشكال حروفه فلا يلبس الواحد منها بالآخر وتضطاع قراءته بالنهار والليل وعلى النور الضئيل بدون الاستعانة بالعوينات وهذا يعرفه كل مصاب بقصر البصر او يبعده ، انا اليوم أقرأ الكتابة العربية بدون صعوبة واما الكتابة الافرنجية فقد أصبحت مضطراً للاستعانة بالعوينات على قراءتها . وهذه مزية للحروف العربية لا يستهان بها بل تكفي وحدها لتفصيلها على غيرها فانك لنظر الى الصفحة الافرنجية فلا تكاد تدين حرفاً من حرف الا بعد اتمام النظر واجهاد البصر وهذا هو السبب في ما اعتقد لاضطراب اكثر الاوربيين لاستعمال العوينات وهم بعد في عهد الشباب بينما قراء العربية يبقون قادرين على قراءتها بالعين المجردة حتى في سن الشيخوخة .

٦ — نحن السور بين اسنا مستقلين باللغة فليس من حقنا ان نستأثر به هذه البدعة المنكرة ونقطع مع اخواننا في العراق ومصر وجزيرة العرب وشمالي افريقية تلك الصلات الراضخة التي تربطنا بهم .

٧ — الحركات اللغوية عندنا صعبة الادراك لان اكثرها سماعية لا تعرف بالقياس ولان اللغة العامية المحكية لا تكثر بها فترى الناس يلفظون الكلمات غلطاً ولا يبالون فاذا عمدنا الى الكتابة بالحروف اللاتينية وجعلنا الحركات الثلاث حروفاً تكتب في صلب الكلمة تقع في ورطة جديدة هي اغلاط الاملاء . اليوم قلما نجد قارئاً يقرأ بدون لحن في الحركات واكثر القراء الخائون ولكن فيما بعد لا تعود تجد كاتباً يكتب بدون غلط في الاملاء وهذا أقطع من ذاك . مثال ذلك انت تكتب اليوم الحاضرة والبدواة بدون ان تعرف حركة الحاء والباء فيهما وتترك للقارئ حريته ليقرأهما كما يشاء ولكن اذا كتبت بالحرف اللاتيني لا تستطيع ان تضع سواداً على بهاض قبل ان تعرف هذه الحركة لانك مجبر على كتابتها في صلب الكلمة وفي مثل هذه الحالة ينشر التضليل والفوضى فيكتبها كل واحد كما يتراءى له و يضيع القراء بين الصحيح والفاسد . وما اكثر الالفاظ التي لا يعرف تحريكها الصحيح الا الراسخون في العلم .

نحن لا ننكر ان الكتابة العربية في حاجة الى شيء من الاصلاح فلا يبقى عليها سبيل لمنشقد او متبع وهذا الاصلاح يندمج في امرين :

الاول : الحركات ، وهي في حالتها الحاضرة متذرة الادخال عند لزومها بين الحروف فتوضع فوقها او تحته وهذا لا يستطيع نقله للطبع الا بصعوبة عظيمة ، لان المطابع غير مجهزة بحروف محركة في قوالبها واذا تجهزت بها افنفت لهذه الغاية مئات من القوالب فوق الموجود منها وهذا يربك الطباعة ويجعل نفقاتها فوق الاحتمال مع هذا الكساد فلجل ثلاني هذا النقص يمكن تحويل الحركات الى أشكال حرفية يدخلها الكاتب في كتابته عندما يكون واثقاً من صحتها ويرى لزوماً لادخالها فننقل الى المطبوعات بدون عناء ونهون القراءة الصحيحة على ابن اللغة وعلى الاجنبي عنها . اما الحركات النغوية الاعرابية فلا بأس من اجمالها في الكتابة لان اكثر القراء يعرفونها او يهملونها .

الثاني : تعديل الحروف المطبعية ليكون لكل منها قالب واحد سواء وقع طرفاً او وسطاً فلا يبقى احدها ركباً فوق الآخر كما هي الحال الآن . فانك ترى الحرف اللام مثلاً عدداً كبيراً من القوالب بحسب افرادها او توسطها او طرفها او مع حرف آخر يسفها مثل ل الم ل ن ل ي ل ج ل خ ل م ، فيجب ان يكون في المطبعة قوالب لكل واحد من

هذه الأشكال وغيرهما مما لا يعرفه إلا أهل هذه الصناعة وإي إرباك أعظم من هذا في تنفيذ الحروف وفكها وتوزعها ؟ كانت المرحوم علامة اللغة الشيخ إبراهيم البازجي قد وضع اشكالاتاً للحروف لا تختلف عن أوضاعها الأصلية وإنما يمكن صنفها الواحد لصق الآخر بدون حاجة إلى تراكيبها وتنوعها فبقى للحرف الواحد شكل واحد أبنا وقع وهكذا لا يكون أمام المرتب في المطبعة سوى ٢٩ بوثة للحروف بدل المئات الموجودة أمامه اليوم . وقد طبع نماذج عنها في مجلة الضياء فكانت جميلة متناسبة وتمي رواجها كل من رآها ولا أدري ما الذي أفعده عن تعميم العمل بها سوى ضيق ذات اليد وفقد المناصرين .

إذا تم للأبجدية العربية الإصلاح من هاتين الجهتين تصبح سالمة من العيوب وافية بالغرض وقد أشرت على الخطايط الشهير فحجب بك هو ابني أن تحف الناس بشيء من آثار نبوغه في هذا الباب فلا يكون حظه من التقدير والتدوين بعيداً عن حظ ابن مقلة . فهل له أو لغيره من الخطاطين واصحاب المطابع أن يضع اشكالاتاً لقوالب الحروف المطبعية لفي بهذه الأغراض وتزبد الكتابة العربية رونقاً وجمالاً وكما نفوت هذه اللغة بفصاحتها وبلاغتها تبقى منقوفة بجمال كتابتها ؟

لا أريد أن أترك القلم قبل أن أسأل الاستاذين الفاضلين ماسنيون وبينار لماذا خصانا بالنصيحة بتبديل حروفنا لإصلاح كتابتنا ولم يقتربا على قومهم إصلاح الاملاء الافرنسي الذي هو أحوج إلى الشقيج من أي كتابة أخرى . جميع اللغات نقرأ نقرأ كما تكتب ماعدا الافرنسية ( وبعض الألفاظ الانكليزية ) فإن بين املائها وقراءتها بوناً شامخاً إذ أن حروفاً كثيرة في كل كلمة نقرأ نقرأ ولا نقرأ وبعض الحروف تلفظ بغير الصوت الذي وضعت له . وقد اكد لي العارفون ان تسعين بالمائة من الافرنسيين انفسهم يغلطون بالاملاء وكل الاجانب عنهم ونحن من جملتهم يشكون صعوبة التهجئة والقراءة الصحيحة بهذه اللغة . خذ لك مثلاً كلمة ( temps ) فانها تلفظ طاب ولو تلفظتها كما تكتب لوجب ان تلفظها ( تمبس ) وهو فرق غريب بين اللفظ والمجاء واكثر الكلمات الافرنسية على هذا النمط كما ان اللفظ الواحد عندهم يمكن كتابته بأشكال متعددة بدون ان يتبدل لفظه وهذا ليس له مثيل في لسان آخر وهو من الصعوبة بكان .

إذا كانت القراءة الصحيحة عندنا صعبة على غير الراسخين في علم اللغة بسبب إهمال الحركات فإن الاملاء الافرنسي متعذر على غير الراسخين ايضاً . وقد كان الاولى بحضرة الاستاذين الكرمين أن يسميا اولاً باصلاح كتابة لغتهما قبل ان يعمدا لهذه النصيحة الجريئة في بلاد الشرق ونحن على كل حال نشكرهما احتمامهما بشؤوننا وعنايتهم بمصالحنا .

### كتاب مناقب بغداد

« هو لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ »

تلوث تلك المعركة القلبية التي قامت بشأن كتاب مناقب بغداد وهل هو للامام عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ام لحفيده المسمى باسمه وكنيته ولقبه المقتول مع ابيه يوسف سنة ٦٥٤ .

فتصحفت كتاب الدر المنضد في رجال الامام احمد للعلامة عبد الرحمن بن محمد العمري وهو من مخطوطات المكتبة الاحمدية في حلب وقد قال في اوله انه اخصره من طقائه الكبرى المسماة بالمنهج الاحمد فوجدت فيه ترجمة للامام عبد الرحمن بن الجوزي في عشر صفحات فاستنسختها وقد عدد فيها ١٩٦ مصنفاً له ولولا خوف الإطالة لسردتها ههنا وقال بعد ان عددها : وتضاف آخر غير هذه وقبل ان له حواشي على صحاح الجوهرية وماخذ عليها واخصر فنون ابن عقيل في بضعة عشر مجلدآ .

وقد وضعت فيما نقلته ارقاماً لمصنفاته التي ذكرها لنبات ما تقدم فجاء في رقم ( ٨٣ ) مناقب بغداد مجلد . فلم يبق هناك من ريب في ان الكتاب هو لعبد الرحمن المتوفى سنة ٥٩٧ هـ لا لحفيده عبد الرحمن المتوفى سنة ٦٥٤ .

وقد قدمت ان الدر المنضد هو مختصر من المنهج الا . د فيغلب على الظن ان المؤلف هناك سرد اسماء مصنفات ابن الجوزي فالمرجو من الاستاذ الشيخ عبدالقادر المبارك عضو مجمعنا العلمي الذي عنده نسخة من هذا الكتاب ومن الأديب يوسف البان سر كيس الكني في مصر الذي اقل نسخة من هذا الكتاب بالمصور الشمسي ولا أدري في خزانة من هي ومن

الاستاذ الشيخ سعيد الكرعي الذي عنده قطعة كبيرة من هذا الكتاب كما ذكر ذلك الأديب عيسى اسكندر الملعوف في مجلة المجمع قديماً ان يرجعوا الى هذا الكتاب ويفيدونا هل بين هذه المصنفات ذكر لكتاب مناقب بغداد .

ويغلب على ظني ان صاحب المنهج اخذ ترجمة ابن الجوزي من ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ومنه نسختان في المكتبة الظاهرية فالمرجو من الاستاذ حسني الكرم مدير هذه المكتبة ان يفيدنا هل لهذا الكتاب ذكر بين مصنفاته .

فاذا كان قد ذكر في هذين الكتابين او في احدهما فلا يبقى هناك مجال للشك في نسبة الكتاب الى الامام ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ ونقطع جبهة قول كل خطيب ويكون ما ذكر في كتاب المناقب من حوادث سنة ٦٥٤ من زيادات الحفيد او غيره وهذا مما لا يستغرب فقد رأينا لذلك نظائر : هذا كشف الظنون لكانب چليي فان صاحبه توفي على ما اذكر الآن حول سنة ١٠٧٠ وقد ادرج فيه ذيله وطبعاً معاً بدون لفرفة بين الاصل والذيل فتري فيه من توفي من المؤلفين في وسط القرن الثاني عشر وقل من الناس من يعلم ذلك .

عضو المجمع العلمي  
محمد راغب الطباخ

## مطبوعات حديثة

## كتاب

« فلسفة اللغة العربية وتطورها »

للاستاذ جبر ضومط طبع في مطبعة المقتطف والمقطم بمصر سنة ١٩٢٩ م

في ٣١٣ صفحة

هذا الكتاب يتضمن ما أنشأه الأستاذ جبر ضومط عضو مجمعنا العلمي بين سنتي ١٨٨٨ و ١٩٢٨ م من المقالات والخطب القيمة التي تبحث في تاريخ اللغة العربية ونمضة الأفهام المتكئين بها وفلسفة نشوئها وتطورها ووسائل ترقبها - وهي نحو ٢٣ فصلاً مفتحة بمقدمة بقلم المرحوم الدكتور يعقوب صروف هي بعض الخطبة التي كان أعدها قبل وفاته لنقرأ في اليوبيل الذهبي الذي أقيم لتكريم الأستاذ جبر . على ان المقالات التي تضمنها الكتاب لم تكن كلها في موضوع فلسفة اللغة وتطورها بل ان بعضها في موضوعات أخرى تاريخية واجتماعية وأدبية لكن جبهة المقالات متعلقة بالموضوع المذكور وكل ما كتب فيها يرمي الى تزيين رأي المؤلف في فلسفة اللغة العربية وتطورها . وخلاصة ما يرمي اليه في ذلك هو ان الامة العربية دخلت في طور جديد من الحياة فيجب ان تدخل لغتهم ايضاً في طور حياة جديد بنطبق على اجتماعهم ويناسب طورهم الجديد والا فان وقوف اللغة موت لها فتضطر الامة اذ ذلك الى ان تلبس لغتها قيصاً من اللغات الاخرى يساعدها على تطورها وقد شرح المؤلف هذه الطرق التي تحيي اللغة العربية وثمن في ذلك ما شاء وشاءت براعته . وان أسلوب الأستاذ يمتاز بالسهولة وجودة التقسيم وحسن ايراد الشواهد على ما يريد اثباته . وقد أعجبنا من قوله - وكل أقواله محببة - ما جاء في خطبته التي تلاها في جامعة بيروت الاميركية وجعل عناوينها ( اللغة العربية : ما أخذت وما أعطت ) وقد أورد قوله هذا مستندلاً به على صحة اللغة العربية وغزارة مادتها ومواطنها لما يطلب منها من اصطلاحات العلوم اذا أحسن هذا الطلب وعرفت الطرق الموصلة اليه : فذهب الى ان علماء العرب ان كانوا احتاجوا الى علوم الاوائل فنقلوها الى لغتهم كعلم المنطق والفلسفة

وغيرهما فان لغتهم نفسها لم تخرج في هذا النقل الى لغات الاوائل بل كانوا ينقلون مباحث العلوم ويفرغونها في كلمات من عند لغتهم وضرب لذلك مثلاً فقال : « ان علماء العربية اخذوا علم المنطق عن علماء اليونان إما رأساً وإما نقلاً عن السريانية ولكنهم لم يأخذوا الفاظ هذا العلم كما هي عن اليونان بل قالوا : موضوع ومحمول . وقضية وقياس واستنتاج . ومقدمة صغرى ومقدمة كبرى ونتيجة . والمقولات العشر . والقول الشارح . والقصور والتصديق . وكلي وجزئي . وقضية كلية . وقضية كلية معاملة . وقضية كلية مسورة . وهلم جراً من مصطلحات هذا العلم » ثم قارن بين مافعله علماء العرب ومافعله علماء الغرب فقال : « وأخذ العلماء الغربيون علم المنطق عن اليونان كما أخذ علماء العرب إما رأساً او عن اللاتينية وأخذوا لغاتهم ايضاً عن اللغة اليونانية او اللاتينية لانهم قالوا : « سيبيكت وبرديكت » للموضوع والمحمول . وقالوا : كنيغوري اي المقولات العشر وهلم جراً اي ان لغتهم اخذت نفس الحدود عن اللغة اليونانية بخلاف اللغة العربية فانها استلذت عن ألفاظ تلك الحدود اليونانية بالألفاظ من لغتها العربية ادت معانيها تمام التأدية من غير صعوبة ولا التباس . وما قيل في المنطق يقال في علوم الفلسفة فان علماء العربية اخذوا هذا العلم عن غيرهم اما لغتهم فلم تخرج الى لغة القوم ورأت فيها من الألفاظ ما يؤدي معاني ألفاظ ذلك العلم فقالوا : موجود ومعدوم . وعرض وجوه . وحال وكسر وانكسار . وتأثر وأثر . وماهية وهوية . ومقتضي ومانع ومعارض . وقالوا : الماهيات مجعولة بجعل جاعل وغير مجعولة . والعقل الاول والمبدأ الفيض . وغير ذلك من مصطلحات الفلسفة كثير . ولا يخفى ان كل هذه الألفاظ من صميم الألفاظ العربية . ومن عرف هذه المصطلحات بالفرنسوية او الانكليزية علم ان أغلب هذه الألفاظ مأخوذة عن اللاتينية او اليونانية بل علم ان علماء هاتين الأمتين ما زالوا يؤلفون في اللغة اللاتينية الى عهد قريب لعدم استطاعة لغاتهم اولاً ان تحمل هذه العلوم بنفسها بخلاف اللغة العربية فانها تحماتها حالاً وأصبحت تلك العلوم كأنها موضوعة فيها ابتداء وكان من علماء اللاتين والجرمان انهم ترجموا في بادئ امرهم أكثر تلك العلوم عن اللغة العربية .

وهكذا كان الامر ايضاً في علوم الطبيعة كالطبيعيات والطب والكيمياء والفلك

والنبات والحيوان : فالت اللغة العربية لم تتحج في كل هذه العلوم الا الى الالفاظ التي استعار استعمالها لان مسمياتها من نبات وحيوان لم تكن معروفة في البلاد العربية لانها لا تعيش فيها وتعيش في غيرها من البلدان . فأخذوا الامم بأخذ المسمى وهكذا الحال فيها لو كان اللفظ المأخوذ اسماً لآلة مخصوصة صنعها صناع تلك الامم قبل ان عرفها العرب والعربية بثبات من السنين « اه » .

فلله در المؤلف ما أقدره على تصوير سعة لغتنا العربية واستغنائها ومبلغ طاقاتها على تمثيل العلوم التي نترجم اليها .

هذا نموذج مما كتبه ويكتبه العلامة جبر ضومط في خدمة لغتنا العربية منذ اكثر من خمسين سنة وما زال على بلوغه الكبر يدأب ويعمل في خدمة هذه اللغة الشريفة والدفاع عنها وثبته ابناء قومه الى الاستفادة من مواهبها . فنسأل الله ان ينسأ في عمره ليري ما يحبه لها من الرقي والازدهار .

« المغربي »

### حياة محمد

La vie de Mohamet  
par  
Emiel Dermenghens

بين الشرق والغرب جدل يرجع معظمه الى ما ركب في طبائع البشر من المطامع . فاي منهما قويته شوكته ، واستند ساعده ، نازل صاحبه بعتدي عليه ، ويسلبه استقلاله ، سنة القوي في الضعيف .

وقديماً كانت هذه الخصومة ، بيد انها كانت خصومة صريحة ، ومن آيات الشرف الصراحة . يهاجم الشرق الغرب ، والغرب الشرق باسم الدين ، ومن اجل السلب ، ويسمي كل منهما عمله : جهاداً او حرباً مقدسة ، وغزواً . من غير موارد ولا مدهنة . ودارت الايام دورتها ، فتهذبت مظاهر الناس ، وظلت نفوسهم على ما كانت عليه من الطمع والجشع ، وسلب القوي حق الضعيف ، واعتدائه عليه . ولكن باسم التمدن وهو اسم جديد أطلقته سياسة العصر الحاضر على الغزو والحروب الدينية . والغريب ان الامم من قبل — اي في هجيتها . . . — كانت تقاتل من اجل دينها ، فاذا بعض



أم الغرب اليوم نقاتل مأجورة حتى في سبيل دين غير دينها .  
وهذا الاعتداء الطريف في برودة التمدن ، بتطلب « دعاية » لنقص الفتح تمهيداً  
لمقاصده ، أو لتبعه تثبيتاً لقواعده ، تظهر الضعيف في ثوب خلق من الجهل والشقاء ،  
فيعذر القوي في التغلب عليه « لتمدينه » . وما هو الا ان ننشئ فيه أظافره حتى يمزق  
أديمه ، ويمتص دماءه .

لذلك انطلقت أسنة رجال العلم من الأقوياء ، ومن بيت اليهم بسبب ، يؤلفون عن  
المستضعفين التأليف المبكية المضحكة . يلفقون لهم تاريخاً غير تاريخهم ، ويخلقون لهم قوميات  
غير قومياتهم ، وينكرون عليهم حقهم في الحياة ، ويسمون عملهم بعد ذلك علماً وتاريخاً .  
حال يدعو المستضعفين — ونحن منهم — ان يتدبروا ما يقال فيهم بمحذر وبقطة ،  
ليعرفوا ما الذي يراد بهم مما يؤلف عنهم .

كانت هذه الفكرة تملأ رأسي وأنا أنظر في الصفحة الاولى من كتاب ( حياة محمد )  
وصررت بالمقدمة فاذا المؤلف يقول :

« أردت ان أرسم لمحمد صورة صحيحة على قدر ما يمكن ، وذلك كما رأيته حياً في  
حديث الكتب ، وفي النفوس الحية من اولئك المؤلفين به » . . . . . « واتخذت في  
كلامي عنه خطة وسطاً ، بين اولئك المستشرقين المؤفرطين فيه والمؤفرطين . فمنهم  
من يجعله فوق اهل زمانه ، يختلف عنهم في كل شيء ، ومنهم من يجعله شبيهاً بهم في  
كل شيء . وبعضهم يزعمه مات من التهم ، وآخر من الصوم » .

« وما يؤسف له ، ان الاب لامنس — وهو من أحدث المؤلفين ، واكبر الادباء  
المتخصصين — كان من اكثرهم نفراً فجاءت كتبه القيمة الممتعة مشوّهة بكرهه الاسلام ،  
ونبي المسلمين . واقد طبق هذا العالم اليسوعي على هذا التاريخ تلك الاساليب الانتقادية  
القاسية التي وجهها بعضهم الى النصرانية » .

قرأت هذا كله في مقدمة الكتاب ، فلم يغير الا قليلاً مما كان علق بنفسي . اذ  
المقدمات شيء ، وما يكتب بعدها شيء آخر . واشد ما يختلفان .

على اني ما اخذت في قراءة الصفحات الاولى حتى رأيتني مسوقاً الى الماضي حتى آخر  
صفحة من هذا الكتاب . فاذا المؤلف صادق في قوله ، ماض على الخطة التي اختطها

لنفسه من الصراحة والاعتدال . نزه قلبه عن التعصب على النبي ، وتجاوفاً عن التسليم  
الاعمى . فصوّب حيث رأى صواباً ، وخطأ حيث ظن خطأ .

سرد ( حياة محمد ) بأسلوب قصصي — وكتابه هذا حلقة من سلسلة سماها ( قصص  
العظماء ) — فكان أسلوبه شائفاً ، وعبارته سهلة على ما تقتضي الرواية وبلنّذه الفاري .  
وصف نشأة محمد ( ص ) الاولى وصفاً دقيقاً ، وأفاض في ما لقيه من العقبات والأهوال  
في نشر دعوته ، وأشاد بثباته وعزمه ، وعفوه وحلمه ، وعظمته وتسامحه ، وأتى بمثال  
على ما كان يوصي به رجاله في الغزوات من معاملة الضعفاء والشيوخ والاولاد والنساء ،  
معاملة حسنة ، وان لا يعتدوا على ساكن . ولا يبتلعوا زرعاً . ولا يقطعوا شجراً . ويقول  
المؤلف : وهذا ما يقل في التاريخ مثله .

ونوه بترقيته لقومه ، ونظم شملهم على أساس جديد لا سابق عهد لم به .  
وقال : اذا لم يأت الرسول بالمعجزات التي اتى بها غيره من الرسل ، فحسبه معجزة  
انه جمع اليه اولئك العرب الجفأة الذين طبعوا على الفوضى ونشأوا على الخصام والقتال  
فلم يعرفوا الحياة العامة قبل مبعث الرسول .

ونوه كذلك بما كان من عمل محمد في رفع مستوى المرأة ، وبما أوجده لها من حقوق .  
وانه أوجب معاملتها بالحسنى ، ومنعها العزوبة وهو اكبر خطر يهدد حياتها اليوم . واثني  
على خديجة وعلى جهادها الى جانب النبي وذكر مكانتها عنده .

وأعجب بما كان يضعه الرسول من شرائع يأتيها على مهل ، مما ينفق وروح التشريع ،  
والغرض منه . قال وكان محمد رسولاً ومشتجعاً وسياسياً وعسكرياً .

قال : وصدق محمد ثابت لا يمكن ان يوضع اليوم موضع الشك والريبة ، وحياته  
على ما فيها من هفوات — لم يكن ينكرها — تشهد له بأنه كان على ثقة من رسالته .  
ولقد تحتمل هذه الرسالة إشجاعة ، كأنها عبء كان عليه ان يكون اول من يسقط  
بأثقل نصيب منه .

وذكر جهود المهاجرين في مهاجرهم . وانهم دخلوا يثرب ضعافاً فقراء ، فعملوا  
وجاهدوا حتى أثنى نفر منهم . نازعوا اليهود في تجارتهم فغلبوهم على جزء منها .  
وأدخلوا على المدينة روحاً جديداً من الحمّة والسعي . ويخيل اليك وهو يصور هؤلاء

المهاجرين في كدحهم ، انه يصف فريقاً من الامة الاميركية بنشاطها وجهادها .  
ويمتدح عمل الاسلام في الفن والحضارة في صفحات ربما نقلنا شيئاً منها في  
مقال آخر .

وهو مع هذا يأخذ على الرسول فتكه ببعض من فتك بهم ويقول : « وكنا نود ان  
لا نسجل مثل هذه الحوادث على الرجل الذي جمع في نفسه ما جمع من الشرف والعظمة .  
ولعل محمداً من حيث هو انسان ، كان مضطراً للدفاع عن نفسه ذلك الدفاع الذي تجيزه  
حقوق عصره وبلاده ، غير اننا كنا نريد لرسول الله ، الباعث بني قومه من بعدهم ،  
ان يكون اكثر صفاء ، واكثر ترفعاً عن التأثير بالعوامل البشرية ، حتى لا يقع شيء من  
الظل على هذه الصورة الوضوء من كل ناحية أخرى من نواحيها » .

ويقول ان المسلمين كانوا في فجر الاسلام اقرب الى النصراري منهم في القرون التي  
تلت . و ياتي تبعة ما وقع من خلاف على المفسرين والمحدثين من المسلمين الذين خرجوا  
عن الاستثلاف والقربي للذين ارادهما الرسول . ولا يبري النصراري بما رمى به  
المسلمين ، فهم في تأليفهم قد رموا المسلمين بما هؤلاء منه براء ، وانهم وارسولهم تعماً كاذبة  
شنعاء .

والذي ننكره عليه انه اخذ ببعض خرافات لا يجوزها العقل ، ولا يقول بها من  
المسلمين غير العامة . وهذا قليل جداً . كما تورد علوم راسدي  
وانه أراد ان يجعل الاسلام صورة كاملة عن النصرانية ، لذلك يزعم ان الاختلاف  
بين الدينين انما نجم عن تحريف في القرآن . . . . . ويعلل ذلك تعليلاً غير مقبول . وهذا  
الزعم يحمل القاري على اتهام المؤلف بانه استمد رأيه هذا من شعور ديني ان لم يكن فيه  
مخذاراً فقد غلب عليه .

وعلى الجلة فهذا الكتاب من خير ما أخرجه غربي عن محمد (ص) . فنشكر للمؤلف  
جهوده في العمل وصدقه في الرواية .  
عارف النكدي

## احاديث المجد والوجد

— لابي الفضل الوليد —

« قرنة الحمراء — المتن »

ابو الفضل الوليد عربي بلقبه واسمه اللذين اختار ، عربي ببلده ( المتن ) وببلدته ( قرنة الحمراء <sup>(١)</sup> ) . وهو فوق هذا عربي بلسانه وروحه ، ثابت على عقيدته العربية : مقبلاً ومهاجراً ، في الدورين الغابر والحاضر .

وكم من اخواننا الذين كانوا عرباً ايام الدولة العثمانية لامر ما ، عملوا على هدم اركان هذه الدولة بحجة النصرة للعرب ولل قضية العربية ، فلما قضى الامر عاد كل منهم الى حقيقته التي كانت مخفية ، وأنسه المرتبة التي يشغل ، والسياسة التي انتحل ، تلك المؤتمرات ، وهاتيك المهود .

(١) لما فتح خالد بن الوليد مشارف الشام ثم تغلغل الى داخله ، هاجر الى بعض جبال لبنان قبائل عربية نصرانية تستعصم به . وبعد ان فتح العرب لبنان كله هاجرت اليه قبائل أخرى هجرة ثانية نزل اكثرها في الشوف ثم المتن .

ولقد ابقى العرب للاماكن القديمة اسماءها القديمة — واكثرها سرياني — كما فعلوا في سائر الشام . وأطلقوا الاسماء العربية على ما حدثوا من القرى والداكر . من ذلك : المتن : وهو ما ظهر من كل شيء . ومن الارض ما ارتفع . وقيل ما ارتفع واستوى ومن نظر الى المتن في لبنان علم ان من سمى هذا الموضع انما كان عربياً حقاً .

والقرنة : الطرف الشخص من كل شيء . يقال ( القرنة الحمراء ) على الوصف كما يقال ( قرنة الحمراء ) على الاضافة الحقيقية او على حذف المضاف . وقد جرى العرب كثيراً في سميتهم على مثل هذه الاضافة او على حذف المضاف . فمن الاول باب الصغير ( بدمشق ) ووادي الكبير ( بالاندلس ) . ومن الثاني وقف العثمانية اي المدرسة العثمانية فقولنا ( قرنة الحمراء ) قد يراد به الاضافة الحقيقية الى الحمراء او ان هناك محذوفاً هو الهضبة او الراهبة كأن نقول : ( قرنة الهضبة الحمراء ) او ( قرنة الراهبة الحمراء ) وما شبه او ان العامة استشكلت اداة التعريف فقضت عليها .